۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى
ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ
مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٩٣﴾
يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ
لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ وَسَيَرَى
ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ
وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحۡلِفُونَ
بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ
عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ
يَكۡسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن
تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾

شرح الكلمات :

إنما السبيل : أي الطريق إلى المعاقبة.

أغنيـاء : واجدون لأهبة الجهاد مع سلامة أبدانهم.

الخـوالف : أي النساء والأطفال والعجزة.

إذا رجعتم إليهم : أي إذا عدتم إليهم من تبوك، وكانوا بضعاً وثمانين رجلاً.

لـن نؤمـن لكم : أي لن نصدقكم فيما تقولون.

ثـم تُردُّون : أي يوم القيامة.

إذا انقلبتـم : أي رجعتم من تبـوك.

لتُعرِضوا عنهم : أي لا تعاقبـوهم.

رجــــس : أي نَجَس لخُبْث بواطنهم.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في المُخَلَّفين من المنافقين وغير المنافقين فقال تعالى ﴿إنما السبيل﴾[1] أي الطريق إلى عقاب المخلَّفين على الذين يستأذنونك في التخلُّف عن الغزو وهم أغنياء أي ذوو قُدرة[2] على النفقة والسير ﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾ أي النساء ﴿وطبع الله على قلوبهم﴾ بسبب ذنوبهم فهم لذلك لا يعلمون أن تخلفهم عن رسول الله لا يُجديهم نفعاً وأنه يجرُّ عليهم البلاء الذي لا يطيقونه. هؤلاء هُم الذين لكم سبيل على عقابهم ومؤاخذتهم، لا على الذين لا يجدون ما ينفقون، وطلبوا منك حملاناً فلم تجد ما تحملهم عليه فرجعوا إلى منازلهم وهم يبكون حزنا. هذا ما دلت عليه الآية الأولى (٩٣) أما الآيات الثلاث بعدها فهي في المخلَّفين من المنافقين يخبر تعالى عنهم فيقول ﴿يعتـذرون إليكم إذا رجعتم إليهم﴾ يطلبـون العذر منكم إذا رجعتم إلى المدينة من غزوكم. قل لهم يا رسولنا لا تعتذروا لأننا لا نؤمن لكم أي لا نصدقكم فيما تقولونه، لأن الله تعالى قد نَبَّأنَا من أخباركم[3] وسيرى الله عملكم[4] ورسوله. إن أنتم تبتم فأخلصتم دينكم لله، أو أصررتم على كفركم ونفاقكم، وستُردُّون بعد موتكم إلى عالم الغيب والشهادة وهو الله تعالى فينبئكم يوم القيامة بعد بعثكم بما كنتم تعملون من حسنات أو سيئآت ويجـزيكم بذلك الجزاء العادل. وقوله تعالى ﴿سيحلفون[5] بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم﴾ يخبر تعالى رسوله والمؤمنين فيقول سيحلف لكم هؤلاء المخلَّفون إذا رجعتم إليهم أي إلى المدينة من أجل أن تعرضوا عنهم فأعرضوا[6] عنهم أي لا تؤاخذوهم ولا تلتفوا إليهم إنهم رِجْس أي نَجَس، ومأواهم جهنم جزاء لهم بما كانوا يكسبونه من

---

(١) أي : العقوبة والإثم.

(٢) هؤلاء هم المنافقون تردد ذكرهم تنديداً بهم وكشفاً لحالهم وتحذيرا من سلوكهم.

(٣) أي : اطلعنا على سرائركم وما تخفي نفوسكم.

(٤) أي : ما تستأنفونه من أعمال بعد اليوم صالحة أو طالحة.

(٥) أي : بأنهم ما قدروا على الخروج لأعذار لهم يدّعونها كذباً لتصفحوا عنهم، وتتركوا لومهم وعتابهم.

(٦) الفاء تفريعية أي : إذا كانوا يريدون الإعراض عنكم فأعرضوا عنهم وجملة : ﴿إنهم رجس﴾ : تعليلية أي علة للإذن لهم بالإعراض عنهم يريد : إنهم ذوو رجس.

الكفر والنفاق والمعاصي. وقوله تعالى ﴿يحلفون لكم﴾[1] معتذرين بأنواع من المعاذير لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فلن ينفعهم رضاكم شيئاً لأنهم فاسقون والله لا يرضى عن القوم الفاسقين وما دام لا يرضى عنهم فهو ساخط عليهم، ومن سخط الله عليه أهلكه وعذبه فلذا رضاكم عنهم وعدمه سواء.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ لا سبيل إلى أذيّة المؤمنين الصادقين إذا تخلّفوا فإنهم ما تخلفوا إلا لعذر. وإنما السبيل على الأغنياء القادرين على السير إلى الجهاد وقعدوا عنه لنفاقهم.

٢ـ مشروعية الاعتذار على شرط أن يكون المرء صادقاً في اعتذاره.

٣ـ المنافقون كالمشركين رجْس أي نَجَس لأن بواطنهم خبيثة بالشرك والكفر وأعمالهم الباطنة خبيثة أيضاً إذْ كلها تآمر على المسلمين ومكر بهم وكيد لهم.

٤ـ حرمة الرضا على الفاسق المجاهر بفسقه، إذ يجب بُغْضه فكيف يُرضى عنه ويُحب؟

ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾

شرح الكلمات:

(١) المراد به: عبدالله بن أبيّ إذ حلف أن لا يتخلّف بعد اليوم عن رسول الله ﷺ وطلب أن يرضى عنه.

الأعـــراب[1] : جمع أعرابي وهو من سكن البادية.

أشد كفراً ونفاقاً : أي من كفار ومنافقي الحاضرة.

وأجـــدر[2] : أي أحق وأولى.

حدود ما أنزل الله : أي بشرائع الإسلام.

مغرمــا : أي غرامـة وخسـراناً.

ويتربـــص : أي ينتظـر.

الدوائـــر : جمع دائرة: ما يحيط بالإنسان من مصيبة أو نكبة.

دائـرة السـوء : أي المصيبة التي تسوءهم ولا تسرهم وهي الهلاك.

قـــربات : جمع قربة وهي المنزلة المحمودة.

وصلوات الرسول : أي دعاؤه لهم بالخير.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في الكشف عن المنافقين وإعدادهم للتوبة أو للقضاء عليهم ففي الآية الأولى (٩٧) يخبر تعالى أن الأعراب[3] وهم سكان البادية من العرب أشد كفراً ونفاقاً من كفار الحَضَر ومنافقيهم. وإنهم أجدر أي أخلق وأحق أي بأن لا يعلموا حدود ما أنـزل الله على رسـولـه أي من الأحكـام[4] والسنن وذلك لبعدهم عن الاتصال بأهل الحاضرة وقوله تعالى ﴿والله عليم حكيم﴾ أي عليم بخلقه حكيم في شرعه فما أخبر به هو الحق الـواقع، وما قضى به هو العدل الواجب. وقوله تعالى في الآية الثانية (٩٨) ﴿ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً﴾[5] أي من بعض الأعراب من يجعـل ما ينفقه في الجهاد غرامة لزمَتْه وخسارة لحقَتْه في ماله وذلك لأنه لا يؤمن بالثواب والعقاب الأخروي

---

(١) والعرب: جيل من الناس واحدهم عربي وهم أهل الأمصار، والعرب العاربة: هم الخلص، والمستعربة هم الذين ليسوا بخلّص كاولاد اسماعيل عليه السلام، ويعرب بن قحطان هو أوّل من تكلّم بالعربية وهو أبو اليمن كلها.

(٢) ﴿أجدر﴾ مأخوذ من جدر الحائط وهو رفعه بالبناء.

(٣) لمّا ذكر تعالى حال منافقي الحضر ذكر هنا حال منافقي البادية ليُعرف الجميع.

(٤) وكذلك لا يعلمون حجج الله تعالى في ألوهيته وبعثة رسوله لقلّة نظرهم وسوء فهمهم، ولذا لا حق لهم في الفيء، والغنمية إلا أن يجاهدوا أو يتحولوا إلى الحواضر ويتركوا البادية لحديث مسلم. واختلف في صحة شهادة البادي على الحاضر، والراجح أنها تصح إذا كان عدلاً. وتكره إمامتهم لأهل الحضر عند مالك، وذلك لجهلهم بالشريعة وتركهم الجمعة.

(٥) أي غرما وخسرانا، وأصله لزوم الشيء، ومنه ﴿إن عذابها كان غراما﴾ أي: لازما.

لأنه كافر بالله ولقاء الله تعالى. وقوله عز وجل ﴿ويتربص بكم الدوائر﴾ أي وينتظر بكم أيها المسلمون الدوائر متى تنزل بكم فيتخلص منكم ومن الانفاق لكم والدوائر جمع دائرة المصيبة والنازلة من الأحداث وقوله تعالى ﴿عليهم دائرة السوء﴾[1] هذه الجملة دعاء عليهم. جزاء ما يتربصون بالمؤمنين. وقوله ﴿والله سميع عليم﴾ أي سميع لأقوالهم عليم بنياتهم فلذا دعا عليهم بما يستحقون. وقوله تعالى في الآية الثالثة (٩٩) ﴿ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر[2] ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول﴾[3] إخبار منه تعالى بأن الأعراب ليسوا سواء بل منهم من يؤمن بالله واليوم الآخر، فلذا هو يتخذ ما ينفق من نفقة في الجهاد قربات عند الله أي قرباً يتقرب بها إلى الله تعالى، ووسيلة للحصول على دعاء الرسول له، لأن الرسول ﷺ كان إذا أتاه المؤمن بزكاته أو صدقته يدعو له بخير، كقوله لعبد الله بن أبي أوفى: اللهم صل على آل أبي أوفى، وقوله تعالى ﴿ألا إنها قربة لهم﴾ إخبار منه تعالى بأنه تقبلهامنهموصارت قربة[4] لهم عنده تعالى، وقوله تعالى ﴿سيدخلهم الله في رحمته﴾ بشرى لهم بدخول الجنة، وقوله ﴿إن الله غفور رحيم﴾ يؤكد وعد الله تعالى لهم بإدخالهم في رحمته التي هي الجنة فإنه يغفر ذنوبهم أولاً، ويدخلهم الجنة ثانياً هذه سنته تعالى في أوليائه، يطهرهم ثم ينعم عليهم بجواره.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ بيان أن سكان البادية يُحرمون من كثير من الآداب والمعارف فلذا سكن البادية غير محمود إلا إذا كان فراراً من الفتن.

٢ـ من الأعراب المؤمن والكافر والبر والتقي والعاصي والفاجر كسكان المدن إلا أن كفار البادية ومنافقيها أشد كفراً ونفاقاً لتأثير البيئة.

٣ـ فضل النفقة في سبيل الله والإخلاص فيها لله تعالى.

---

(١) قرىء ﴿السُّوء﴾ بالفتح والضم إلا قوله: ﴿وما كان أبوك امرأ سوء﴾ فإنه بالفتح لا غير، إذ السُّوء بالضم: المكروه، والسوء بالفتح: الفساد. امرؤ سوء: أي: فاسد.

(٢) قيل: هم بنو مُقَرِّن من مزينة.

(٣) صلوات الرسول هي استغفاره ودعاؤه لهم بالخير والبركة.

(٤) أي: تقرّبهم من الله تعالى.

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ
ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ
لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ
ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ
مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ
نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ
عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا
وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾

شرح الكلمات :

والسابقون : أي إلى الإيمان والهجرة والنصرة والجهاد.

اتبعوهم بإحسان : أي في أعمالهم الصالحة.

رضي الله عنهم : بسبب طاعتهم له وإنابتهم إليه وخشيتهم منه ورغبتهم فيما لديه.

ورضوا عنه : بما أنعم عليهم من جلائل النعم وعظائم المِنَنْ.

وممن حولكم : أي حول المدينة من قبائل العرب.

مردوا : مرقوا وحذقوه وعتوْا فيه.

سنعذبهم مرتين : الأولى قد تكون فضيحتهم بين المسلمين والثانية عذاب القبر.

معنى الآيات :

قوله تعالى: ﴿والسابقون[1] الأولون من المهاجرين والأنصار[2]﴾ وهم الذين سبقوا غيرهم

(١) ﴿السابقون﴾ هم الذين صلّوا إلى القبلتين وأفضلهم الخلفاء الأربعة ثم الستة الباقون من المبشرين بالجنة ثم أهل بدر ثم أصحاب أحد ثم أهل بيعة الرضوات بالحديبية، وأفضلهم أبو بكر على الإطلاق.

(٢) ﴿الأنصار﴾: هم من أسلم من الأوس والخزرج بالمدينة ولم يعرفوا في الجاهلية بهذا الاسم وإنما سماهم الله تعالى به في الإسلام.

إلى الإيمان والهجرة والنصرة والجهاد، والذين اتبعوهم[1] في ذلك وأحسنوا أعمالهم فكانت موافقة لما شرع الله وبين رسوله محمد ﷺ،الجميع رضي الله عنهم بإيمانهم وصالح أعمالهم، ورضوا عنه بما أنالهم من إنعام وتكريم، وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً أي وبشرهم بما أعد لهم من جنات وقوله ﴿ذلك الفوز العظيم﴾ أي ذلك المذكور من رضاه تعالى عنهم ورضاهم عنه وإعداد الجنة لهم هو الفوز العظيم، والفوز السلامة من المرهوب والظفر بالمرغوب فالنجاة من النار ودخول الجنة هو الفوز العظيم، هذا ما دلت عليه الاية الأولى (١٠٠) وأما الآية الثانية فقد تضمنت الإخبار بوجود منافقين في الأعراب[2] حول المدينة، ومنافقين في داخل المدينة، إلا أنهم لتمرسهم وتمردهم في النفاق أصبحوا لا يُعرفون، لكن الله تعالى يعلمهم هذا معنى قوله تعالى ﴿وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا[3] على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾، وقوله تعالى ﴿سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم﴾ وعيد لهم نافذ فيهم لا محالة وهو أنه تعالى سيعذبهم في الدنيا مرتين مرة بفضحهم أو بما شاء من عذاب ومرة في قبورهم، ثم بعد البعث يردهم إلى عذاب النار وهو العذاب العظيم، وقوله تعالى في الآية الثالثة (١٠٢) ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً[4]﴾ هؤلاء أُناس آخرون تخلفوا عن الجهاد بغير عذر وهم أبولبابة ونفر معه ستة أو سبعة أنفار ربطوا أنفسهم في سواري المسجد لما سمعوا ما نزل في المتخلفين وقالوا لن نحل أنفسنا حتى يحلنا رسول الله ﷺ خلطوا عملاً صالحاً وهو إيمانهم وجهادهم وإسلامهم وعملاً سيئاً وهو تخلفهم عن غزوة تبوك بغير عذر، فقوله تعالى ﴿عسى الله أن يتوب عليهم﴾ إعلامهم بتوبة الله تعالى عليهم فجاء رسول الله ﷺ فحل رباطهم وقالوا لرسول الله ﷺ هذه أموالنا التي خلفتنا عنك خذها فتصدق بها واستغفر لنا فقال ماأُمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً.

---

(١) التابعون: جمع تابع أو تابعي، وهم الذين صحبوا الصحابة، وأكبر التابعين: الفقهاء السبعة وهم: سعيد بن المسيب، والقاسم بن محمد وعروة بن الزبير، وخارجة بن زيد، وأبو سلمة بن عبدالرحمن، وعبدالله بن عتبة بن مسعود، وسليمان بن يسار. وكلهم من المدينة النبوية وأفضل نساء التابعين حفصة بنت سيرين وعمرة بنت عبدالرحمن وأم الدرداء.

(٢) الأحياء الذين كانوا حول المدينة هم: مزينة وجهينة وأسلم، وغفار وأشجع ولحيان وعصيّة وكان منهم منافقون.

(٣) يقال: مرد على الأمر: إذا مرن عليه ودرب به، ومنه الشيطان المارد سئل حذيفة عن المنافقين فأخبر أنهم اثنا عشر. ستة ماتوا بالدبيلة وأربعة ماتوا موتاً عاديا.

(٤) ﴿خلطوا﴾ يريد خلطوا حسنات أعمالهم الصالحة بسيئات التخلف عن الغزو والإنفاق في الجهاد والسير مع رسول الله ﷺ إلى تبوك. وعسى: فعل رجاء وهي في كلام الله تعالى كناية عن وقوع المرجو لا محالة.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ فضل السبق للخير والفوز بالأولية فيه .

٢ـ فضل أصحاب رسول الله ﷺ على غيرهم ممن جاء بعدهم .

٣ـ فضل التابعين لأصحاب رسول الله ﷺ إن أحسنوا المتابعة .

٤ـ علْم ما في القلوب إلى الله تعالى فلا يعلم أحد من الغيب إلا ما علَّمه الله عز وجل .

٥ـ الرجاء لأهل التوحيد الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً بأن يغفر الله لهم ويرحمهم .

خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ
إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ
ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ
وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ
ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾

شـرح الكلمـات :

صـدقـة : مالاً يتقرب به إلى الله تعالى .

تطهرهم وتزكيهم بها : أي تطهرهم من ذنوبهم ، وتزكيهم أنت أيها الرسول بها بدعائك لهم وثنائك عليهم .

وصـل عليهـم : أي ادع لهم بالخير.

إن صـلاتك سكن لهم : أي دعاءك رحمة .

ويأخـذ الصدقات : يتقبلهـا .

مرجون لأمر الله : مؤخرون لحكم الله وقضائه.

عليم حكيم : أي بخلقه نيات وأموالاً وأعمالاً حكيم في قضائه وشرعه.

معنى الآيات :

لقد تقدم في الآية قبل هذه أن المتخلفين التائبين قالوا للرسول ﷺ هذه أموالنا[1] التي تخلفنا بسببها صدقة فخذها يا رسول الله فقال لهم إني لم أُؤْمر بذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿خذ من[2] أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم، والله سميع عليم﴾ فأمر تعالى رسوله أن يأخذ صدقة هؤلاء التائبين لأنها تطهرهم من ذنوبهم ومن أوضار الشُّح في نفوسهم وتزكيهم أيها الرسول بها بقبولك لها وصل عليهم أي ادع لهم بخير، إن صلاتك سكن[3] لهم أي رحمة وطمأنينة في نفوسهم والله سميع لأقوالهم لمَّا قدموا صدقتهم وقالوا خذها يا رسول الله عليم بنياتهم وبواعث نفوسهم فهم تائبون توبة صدق وحق. وقوله تعالى ﴿ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده﴾ الاستفهام للتقرير أي هم يعلمون ذلك قطعاً، ويأخذ الصدقات[4] أي يقبلها، وأن الله هو التواب أي كثير قبول التوبة من التائبين الرحيم بعباده المؤمنين ثم أمر الله تعالى رسوله أن يقول لهم حاضاً لهم على العمل الصالح تطهيراً لهم وتزكية لنفوسهم ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون[5]﴾ فيشكر لكم ويثني به عليكم ﴿وستردون إلى عالم الغيب والشهادة﴾ وهو الله عز وجل ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ ويجزيكم به الحسن بالحسن والسيء بمثله. وقوله تعالى ﴿وآخرون مرجون لأمر الله. إما يعذبهم وإما يتوب

---

(١) المال في فصيح اللغة: هو كل ما تموّل وتملك فهو مال. والمراد من قولهم هذه أموالنا يعنون ما لديهم من سائر أنواع المال. وأما في الزكوات فإنها خاصة بالعين والمواشي والثمار والحبوب بشروطها التي هي النصاب والحول في العين والحصاد في الحبوب والتمر بلوغ خمسة أوسق، والوسق ستون صاعاً والصاع أربعة أمداد.

(٢) هذه الآية وإن نزلت في الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فإنها عامة في الأمة فعلى ولاة أمور المسلمين أن يجبوا الزكوات ويأخذوها من الأمة فريضة الله تعالى على المسلمين للقيام بمصالح المسلمين، والذين قدّموا أموالهم كلها أخذ منها الرسول ﷺ الثلث، وردّ عليهم الباقي. فقال مالك من تصدق بجميع ماله يجزئه منه الثلث أخذاً من هذه الحادثة.

(٣) معناه أنه إذا دعا لهم سكنت قلوبهم وفرحوا، واختلف هل هذه الصلاة على المتصدق باقية أو انتهت بوفاة رسول الله ﷺ. والصحيح أنها باقية. فمن أخذ صدقة متصدق يصلي عليه اقتداء برسول الله ﷺ.

(٤) أخرج مسلم: (لا يتصدق أحد بصدقة من كسب طيب إلا أخذها الله بيمينه فتربو في كفّ الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل).

(٥) روى أبو داود وأحمد أن النبي ﷺ قال: (إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات فإن كان خيرا استبشروا به وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا).

عليهم﴾ هذا هو الصنف الثالث من أصناف المتخلفين فالأول هم المنافقون والثاني هم التائبون والثالث هو المقصود بهذه الآية وهم ثلاثة أنفار كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية فهؤلاء لم يأتوا الرسول ﷺ ليعتذروا إليه كما فعل التائبون المتصدقون بأموالهم منهم أبولبابة حيث ربطوا أنفسهم في سواري المسجد فأمر الرسول ﷺ بمقاطعتهم[1] حتى يحكم الله فيهم، وهو معنى قوله تعالى ﴿مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم﴾ فإن عذبهم أو تاب عليهم فذلك لعلمه وحكمته. وبقوا كذلك حتى ضاقت بهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم ثم تاب الله تعالى عليهم كما جاء ذلك بعد كذا آية من آخر هذه السورة ﴿إن الله هو التواب الرحيم﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- الصدقة تكفر الذنوب وتطهر الأرواح من رذيلة الشُّح والبخل.

٢- يستحب لمن يأخذ صدقة امرىء مسلم أن يدعو له بمثل: آجرك الله[2] على ما أعطيت وبارك لك فيما أبقيت.

٣- ينبغي للتائب من الذنب الكبير أن يكثر بعده من الصالحات كالصدقات والصلوات ونحوها.

٤- فضيلة الخوف والرجاء فالخوف يحمل على ترك المعاصي والرجاء يحمل على الإكثار من الصالحات.

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ
الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ
وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ


لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ

---

(١) هؤلاء هم: كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع.

(٢) هو معنى: ﴿وصلِّ عليهم﴾ إذ الصلاة الدعاء لغة.

يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا
وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ
عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ
عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً
فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾

شرح الكلمات :

ضراراً : أي لأجل الإضرار.

وإرصاداً : انتظاراً وترقباً.

إلا الحسنى : أي إلا الخير والحال الأحسن.

لا تقم فيه أبداً : أي لا تَقُمْ فيه للصلاة أبداً.

أسس على التقوى : أي بُني على التقوى وهو مسجد قبا.

فيه رجال : هم بنو عَمروبن عوف.

على تقوى من الله : أي على خوف.

ورضوان : أي رجاء رضوان الله تعالى.

على شفا جرف هار : أي على طرف جرف مشرف على السقوط، وهو مسجد الضرار.

ريبة في قلوبهم : أي شكاً في نفوسهم.

إلا أن تقطع قلوبهم : أي تُفْصَل من صدورهم فيموتوا.

معنى الآيات

ما زال السياق في فضح المنافقين وإغلاق أبواب النفاق في وجوههم حتى يتوبوا الى الله تعالى أو يهلكوا وهم كافرون فقال تعالى ذاكراً فريقاً منهم[1] ﴿والذين اتخذوا مسجداً

(١) روي أن رأس الفتنة كان أبا عامر الراهب الذي ذهب يستعدي الروم على رسول الله ﷺ وأصحابه.

ضراراً وكفراً وتفريقاً[1] بين المؤمنين وإرصاداً لمن[2] حارب الله ورسوله من قبل﴾ إن المراد من هؤلاء الذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً اثنا عشر رجلاً من أهل المدينة كانوا قد أتوا النبي ﷺ وهو شاخص إلى تبوك فقالوا يا رسول الله إنا قد بنينا مسجداً للعاجز منا والمريض وللّيلة المطيرة فَصَلِّ لنا فيه فقال لهم ﷺ أنا الآن على جناح سفر وإن عدنا نصلي لكم فيه إن شاء الله أو كما قال. فلما عاد ﷺ من تبوك ووصل الى مكان قريب من المدينة يقال له ذواوان وهو بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار نزل عليه الوحي بشأن مسجد الضرار فبعث مالك بن الدخشم أخا بني سالم بن عوف ومعن بن عدي أو أخاه عاصماً أخا بني العجلان فقال انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه فخرجا مسرعين حتى أتيا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال لمعن انظرني حتى أخرج إليك بنار فخرج بسعف نخل قد أضرم فيه النار واتيا المسجد وأهله فيه فأضرما فيه النار وهدماه وتفرق أهله ونزل فيهم قوله تعالى ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً﴾ أي لأجل الإضرار بالمسجد النبوي ومسجد قباء حتى يأتيهما أهل الحى وقوله ﴿وكفراً﴾ أي لأجل الكفر بالله ورسوله وقوله ﴿وتفريقاً بين المؤمنين﴾ علة ثالثة لبناء مسجد الضرار إذ كان أهل الحي مجتمعين في مسجد قباء فأرادوا تفرقتهم في مسجدين حتى يجد هؤلاء المنافقون مجالاً للتشكيك والطعن وتفريق صفوف المؤمنين على قاعدة: (فرق تسد) ﴿وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل﴾ وهو أبو عامر الراهب الفاسق لأنه عليه لعائن الله هو الذي أمرهم أن يبنوه ليكون وكراً للتآمر والكيد وهذا الفاسق قال للنبي ﷺ ما وجدت قوماً يقاتلونك إلا قاتلتك معهم فكان مع المشركين فى حروبهم كلها إلى أن انهزم المشركون في هوازن وأيس اللعين ذهب إلى بلاد الروم يستعديهم على رسول الله ﷺ، ومن هنا أمر المنافقين ببناء مسجد الضرار ليكون كما ذكر تعالى حتى ينزل به مع جيوش الروم التي قد خرج يستعديها ويؤلّبها إلا أنه خاب في مسعاه وهلك بالشام إلى جهنم وبئس المصير فهذا معنى قوله تعالى ﴿وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل﴾ أي قبل بناء مسجد الضرار الذي هُدم وحُرق وأصبح موضع قمامة تلقى فيه الجِيَفُ والقمائم.

---

(١) ﴿ضرارا﴾ مفعول لأجله أي: لأجل مضارة أهل الإسلام بتفرقة المسلمين وإيجاد عداوات بينهم.

(٢) هو أبو عامر الراهب، وسمي الراهب: لأنه تنصّر وتعبد على دين النصارى ولما انهزمت ثقيف التحق بالروم ومات كافرا. نالته دعوة النبي ﷺ.

وقوله تعالى ﴿وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى﴾ هذا قولهم لما حرق عليهم المسجد وهدم وانفضح أمرهم حلفوا ما أرادُوا ببنائه إلا الحالة التي هي حسنى لا سوء فيها إذ قالوا بنيناه لأجل ذي العلة ولليلة المطيرة. وقوله تعالى ﴿والله يشهد إنهم لكاذبون﴾ تفنيد لقولهم وتقرير لكذبهم. وقوله تعالى ﴿لا تقم فيه أبداً﴾[1] نهيٌ للرسول ﷺ أن يصلى لهم فيه كما واعدهم وهو ذاهب إلى تبوك. وقوله تعالى ﴿لمسجد أسس[2] على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه﴾ وهو مسجده ﷺ ومسجد قباء إذ كل منهما أسس من أول يوم على تقوى من الله ورضوان أي على خوف من الله وطلب رضاه، وقوله تعالى ﴿فيه رجال يحبون أن يطهروا والله يحب المطهرين﴾ ثناء على أهل قباء بخير واخبار أنهم يحبون أن يتطهروا[3] من الخبث الحسِّي والمعنوى فكانوا يجمعون فى الاستنجاء بين الحجارة والماء فأثنى الله تعالى عليهم بذلك، وقوله تعالى ﴿أفمن أسَّس بنيانه على تقوى من الله ورضوان﴾ أى على مخافة من الله وطلب لرضاه خير أمن أسس بنيانه على شفا أي طرف جرف هار أي مشرف على السقوط، والجرف[4] ما يكون في حافة الوادي من أرض يجرف السيل من تحتها التراب وتبقى قائمة ولكنها مشرفة على السقوط، وقوله تعالى ﴿فانهار به في نار جهنم﴾ أي سقط به ذلك الجرف في نار جهنم والعياذ بالله تعالى، هذا حال أولئك المنافقين الذين بنوا مسجد الضرار. وقوله تعالى ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ أي لا يهديهم إلى ما يكمُلون به ويسعدون أي يحرمهم هدايته فيخسرون دنيا وأُخرى وقوله تعالى ﴿لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم[5]﴾ أي شكاً واضطراباً في نفوسهم ﴿إلا أن تقطع[6] قلوبهم﴾ فيهلكوا والشك في قلوبهم أي فكان هذا البناء الظالم سبباً في تأصل النفاق

---

(١) أي: ﴿لاتقم فيه﴾ للصلاة. يقال: فلان قائم يصلي. و﴿أبدا﴾ معناه في أي وقت من الأوقات مطلقا. فأبدا: لفظ يفيد التأبيد المطلق.

(٢) ﴿أسِّس﴾ أي: وضعت أسسه وبنيت جدره ورفعت قواعده إذ الأس: أصل البناء، وكذلك الأساس، والجمع أسس وآساس جمع إساس. قال الشاعر:

أصح الملك ثابت الآساس   في البهاليل من بني العباس

(٣) لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: (أهل قباء إن الله سبحانه قد أحسن الثناء عليكم فى التطهر فما تصنعون؟ قالوا: إنّا نغسل أثر الغائط والبول بالماء). رواه أبو داود. فكانوا يجمعون بين الاستجمار والاستنجاء مبالغة في التطهر، وإن كان الاستجمار مجزئا تخفيفا على الأمة المسلمة.

(٤) الجرف: بالضم والإسكان كالرسْل والرسُل، وأصله من الجرف والإجتراف وهو اقتلاع الشيء من أصله.

(٥) وقيل: الريبة هنا: الحسرة والندامة، وحزازة وغيظا والكل صالح لدلالة اللفظ عليه.

(٦) أي: إلى أن تقطع قلوبهم بالموت أي: إلا أن يموتوا.

والكفر في قلوبهم حتى يموتوا كافرين وقوله ﴿والله عليم حكيم﴾ تذييل للكلام بما يقرر مضمونه ويثبته فكونه تعالى علمياً حكيماً يستلزم حرمان أولئك الظلمة المنافقين من الهداية حتى يموتوا وهم كافرون إلى جهنم وذلك لتوغلهم في الظلم والشر والفساد.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- بيان أكبر مؤامرة ضد الإسلام قام بها المنافقون بارشاد الفاسق أبي عامر الراهب.

٢- بيان أن تنازع الشرف هو سبب البلاء كل البلاء فابن أُبَيّ حاربَ الإسلام لأنه كان يُؤمِّل في السُّلطة على أهل المدينة فحُرِمَها بالإسلام. وأبو عامر الراهب ترهَّب لأجل الشرف على أهل المدينة والسلطان الروحى فلذا لما فقدها حارب من كان سبب حرمانه وهو الرسول ﷺ حتى قال له مواجهة: ما قاتلك قوم إلا قاتلتك معهم. بل ذهب إلى الروم يؤلِّبهم على رسول الله ﷺ واليهود ما حاربوا الإسلام إلا من أجل المحافظة على أملهم في مملكة إسرائيل.

٣- لا يصح الإغترار بأقوال أهل النفاق فإنها كذب كلها.

٤- أيما مسجد بُني للإضرار والتفرقة بين المسلمين إلا ويجب هدمه وتحرم الصلاة فيه.

٥- فضل التطهر والمبالغة في الطهارتين الروحية والبدنية.

٦- التحذير من الظلم والإسراف فيه فإنه يحرم صاحبه هداية الله فيهلك وهو ظالم فيخسر دنيا وأخرى.

۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١١﴾

ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ

ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْأَٰمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ
وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ
وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ  ١١٢

شرح الكلمات :

الجنة : هي دار السلام التي أعدها الله تعالى للمتقين.

يقاتلون : أي الكفار والمشركين.

وعداً : أي وعدهم وعداً حقاً.

في التوراة : أي مذكوراً في التوراة والإنجيل والقرآن.

ومن أوفى بعهده : أي لا أحد أوفى بعهده من الله تعالى.

ذلك هو الفوز العظيم : أي ذلك البيع هو الفوز العظيم.

التائبون : أي من الشرك والنفاق والمعاصي.

العابدون : أي المطيعون لله في تذلل وخشوع مع حبهم لله وتعظيمهم له.

السائحون : أي الصائمون والخارجون في سبيل الله لطلب علم أو تعليمه أو جهاد لأعدائه.

الآمرون بالمعروف : أي بعبادة لله الله تعالى وتوحيده فيها.

الناهون عن المنكر : أي عن الشرك والمعاصي.

والحافظون لحدود الله : أي القائمون عليها العاملون بها.

وبشر المؤمنين : أي بالجنة دار السلام.

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى حال المتخلفين عن الجهاد ذكر فضل الجهاد ترغيباً فيه وفيما أعد لأهله

فقال ﴿إن الله اشترى[1] من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن[2] لهم الجنة﴾ وهذا هو المُثَمَّن الذي أعطى الله تعالى فيه الثمن وهو الجنة، وقوله ﴿يقاتلون في سبيل الله فيقتُلون﴾ أي أعداء الله المشركين ﴿ويقتلون﴾[3] أي يستشهدون في معارك القتال وقوله ﴿وعداً عليه حقاً[4] في التوراة والإنجيل والقرآن﴾ أي وعدهم بذلك وعداً وأحقه حقاً أي أثبته في الكتب الثلاثة التوراة والإنجيل والقرآن تقريراً له وتثبيتاً وقوله ﴿ومن أوفى بعهده من الله﴾ استفهام بمعنى النفي أي لا أحد مطلقا أوفى بعهده إذا عاهد من الله تعالى وقوله ﴿فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فبناء على ذلك فاستبشروا[5] أيها المؤمنون ببيعكم الذى بايعتم الله تعالى بهِ أي فسرُّوا[6] بذلك وافرحوا وذلك البيع والاستبشار هو الفوز العظيم الذي لا فوز خير ولا أعظم منه.

وقوله ﴿التائبون﴾[7] إلى قوله: ﴿والحافظون لحدود الله﴾ هو ذكر لأوصاف أهل البيع وتحديد لهم فهم الموصوفون بتسع صفات الأولى التائبون أي من الشرك والمعاصي والثانية العابدون وهم المطيعون لله طاعة ملؤها المحبة لله تعالى والتعظيم له والرهبة منه والثالثة الحامدون لله تعالى في السراء والضراء وعلى كل حال والرابعة السائحون وهم الصائمون كما في الحديث[8] والذين يخرجون في سبيل الله لطلب علم أو غزو أو تعليم أو دعوة إلى الله تعالى ليُعْبد ويوحَّد ويُطاع في أمره ونهيه والخامسة والسادسة الراكعون الساجدون أي المقيمون الصلاة المكثرون من نوافلها كأنهم دائماً في ركوع وسجود والسابعة والثامنة الآمرون بالمعروف وهو الإيمان بالله وتوحيده وطاعته وطاعة رسوله

---

(١) حصل هذا البيع لبعض أصحاب رسول الله ﷺ في بيعة العقبة، إذ قال عبدالله بن رواحة للنبي ﷺ (اشترط لربك ولنفسك ماشئت فقال النبي ﷺ: اشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قالو: فإذا فعلنا ذلك فما لنا؟ قال: الجنة. قالوا: ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل).

(٢) الباء في الشراء تدخل على الثمن تقول: بعتك الدار بكذا ألفاً، ولذا قال هنا: ﴿بأن لهم الجنة﴾ فالجنة هي الثمن المشترى به الأنفس والأموال.

(٣) قوله تعالى ﴿يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون﴾ بيَّن فيه مكان تسليم البضاعة المشتراه وهي الأنفس.

(٤) ﴿وعدا﴾ و ﴿حقا﴾ مصدران مؤكدان.

(٥) أي: أظهروا السرور على بشرة وجوهكم.

(٦) فسُرُّوا: أي أظهروا السرور.

(٧) ﴿التائبون﴾ هم الراجعون من الحالة المذمومة إلى الحالة المحمودة، والتائب: الراجع، والراجع إلى الطاعة أفضل من الراجع عن المعصية لجمعه بين الأمرين.

(٨) روى الطبراني عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سياحة هذه الأمة الصيام، ورواه أبو هريرة مرفوعا إلى النبي ﷺ :(سياحة أمتي الصيام) وروي أيضا عنه ﷺ: (إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله).

والناهون عن المنكر وهو الكفر به تعالى والشرك في عبادته ومعصية رسوله محمد ﷺ والتاسعة الحافظون لحدود الله بالقيام عليها وعملها[1] بعد العلم بها وقوله تعالى: ﴿وبشر المؤمنين﴾ وهم أهـل الإيمان الصادق الكامل المستحقون لبشرى الرسول ﷺ بالنصر والتأييد في الدنيا والنجاة من النار ودخول الجنة يوم القيامة اللهم اجعلنا منهم يا رب العالمين

هدايـة الآيـات

من هداية الآيات:

١ـ بيان فضـل الله تعـالى ومننـه على عباده المؤمنين حيث وهبهم أرواحهم وأموالهم واشتراها منهم.

٢ـ فضل الجهاد والاستشهاد في سبيل الله.

٣ـ على المؤمن أن يشعر نفسه أن بدنه وماله لله تعالى وأن عليه رعايتهما وحفظهما حتى ترفع راية الجهاد ويطالب إمام المسلمين بالنفس والمال فيقدم نفسه وماله إذ هما وديعة الله تعالى عنده.

٤ـ على المؤمن أن لا يدخل الضرر على نفسه ولا على ماله بحكم أنهما لله تعالى.

٥ـ على المؤمن أن يتعاهد نفسه ليرى هل هو متصف بهذه الصفات التسع أولاً فإن رأى نقصاً كمله وإن رأى كمالاً حمد الله تعالى عليه وحفظه وحافظ عليه.

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ

---

(١) أي: القائمون بما أمر الله به، والمنتهون عمّا نهى عنه فحدود الله شرعه وهو فعل وترك، ففعل الأمر وترك النهي هو الحفظ.

يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ
لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿١١٦﴾

شـرح الكلمـات :

أن يستغفروا للمشركين : أي يسألون الله تعالى لهم المغفرة.

أولي قـربى : أصحاب قرابة كالأبُوّة والبُنُوّة والأُخوة.

موعـــدة : أي وعدٌ وعده به.

تبـرأ منه : أي قال: إني بريء منك.

أواه حليـم : الأواه: كثير الدعاء والشكوى إلى الله تعالى والحليم الذي لا يغضب ولا يؤاخذ بالذنب.

ما يتقـــون : أي ما يتقون الله تعالى فيه فلا يفعلوه أو لا يتركوه.

مـن ولـــي : الولي من يتولى أمرك فيحفظك ويعينك.

معنى الآيـات :

لما مات أبوطالب[1] على الشرك بعد أن عرض عليه الرسول كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) فأبى أن يقولها وقال هو على ملة عبدالمطلب قال له النبي ﷺ لأستغفرنّ لك ما لم أُنهَ عن ذلك، واستغفر بعض المؤمنين أيضاً لأقربائهم الذين ماتوا على الشرك، أنزل الله تعالى قوله ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الحجيم﴾ إذ ماتوا على الشرك ومن مات على الشرك قضى الله تعالى بأنه في النار أي ما صح ولا انبغى[2] للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا أي ما صح

---

(١) روى مسلم أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبدالله بن أبي أمية فقال الرسول ﷺ يا عم قل (لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبدالله بن أمية يا أبا طالب: أترغب عن ملة عبدالمطلب فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما تكلم به: هو على ملّة عبدالمطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله. فقال رسول الله ﷺ أما والله لأستغفرن لك مالم أُنه عنك).

(٢) فإن قيل: إن النبي ﷺ قال يوم أحد (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) وهو طلب مغفرة، وطلب المغفرة هو الاستغفار. فالجواب: أن النبي ﷺ قال ما قاله على سبيل الحكاية لا غير. إذ ذكر البخاري أنّ النبي ﷺ ذكر نبيا قبله شجه قومه فجعل النبي ﷺ يخبر عنه بأنّه قال: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

ولا انبغى استغفارهم. ولما قال بعضٌ إن ابراهيم قد استغفر لأبيه وهو مشرك قال تعالى جواباً ﴿وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه﴾ وهي قوله: ﴿سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفياً﴾ لكنه عليه السلام لما تبين له أن أباه عدو لله أي مات على الشرك تبرأ منه ولم يستغفر له، وقوله ﴿إن إبراهيم لأواه[1] حليم﴾ تعليل لمواعدة إبراهيم أباه بالاستغفار له لأن إبراهيم كان كثير الدعاء والتضرع والتأسف والتحسر فلذا واعد أباه بالاستغفار له وقوله تعالى ﴿وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون﴾ هذه الآية نزلت رداً على تساؤلات الذين قالوا متندمين لقد كنا استغفرنا لأقاربنا المشركين فخافوا فأخبرهم تعالى أنه ليس من شأنه تعالى أن يضل قوماً بعد إذ هداهم إلى الصراط المستقيم حتى يبين لهم ما يتقون وأنتم استغفرتم لأقربائكم قبل أن يبين لكم أنه حرام. ولكن إذا أراد الله أن يضل قوماً بيّن[2] لهم ما يجب أن يتقوه فيه فإذا لم يتقوه أضلهم. وقوله تعالى ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾ فلا يضل إلا من يستحق الضلال كما أنه يهدي من يستحق الهداية وذلك لعلمه بكل شيء وقوله تعالى ﴿له ملك السموات والأرض﴾ أي خلقاً وملكاً وتصرفاً فهو يضل من يشاء ويهدي من يشاء يحيي ويميت يحيي بالإيمان ويميت بالكفر ويحيي الأموات ويميت الأحياء لكامل قدرته وعظيم سلطانه وقوله ﴿وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير﴾ أي ليس لكم من يتولاكم إذا تخلى عنكم وليس لكم من ينصركم إذا خذلكم فلذا وجبت طاعته والاتكال عليه، وحرم الالتفات الى غيره من سائر خلقه.

هداية الآيـات

من هداية الآيات:

١ـ حرمة الاستغفار لمن مات على الشرك لأن الله لا يغفر أن يشرك به فلذا لا يطلب منه شيء أخبر أنه لا يفعله.

٢ـ وجوب الوفاء بالوعود والعهود.

---

(١) ذكروا لكملة أواه عشرة تأويلات وما ذُكر في التفسير أولى بها كلها ولو قلنا إن الأواه كثير قول: أوّاه تأسفا وتحسرا وشفقة ورحمة لكان أولى بدلالة اللفظ عليه.

(٢) شاهد هذا قوله تعالى: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول﴾: فإنه يأمرهم أولا وينهاهم فإن لم يمتثلوا استحقوا العذاب.

٣ـ ليس من سنة الله تعالى في الناس أن يضل عباده قبل أن يبين لهم ما يجب عليهم عمله أو اتقاؤه.

٤ـ ليس للعبد من دون الله من ولي يتولاه ولا نصير ينصره ولذا وجبت ولاية الله بطاعته واللجوء إليه بالتوكل عليه.

لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى
ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي
سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ
مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾
وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ
بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ
مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾

شرح الكلمات:

المهاجرين: الذين هجروا ديارهم من مكة وغيرها ولحقوا برسول الله بالمدينة.

الأنصار: هم سكان المدينة من الأوس والخزرج آمنوا ونصروا رسول الله ﷺ.

ساعة العسرة (١): هي أيام الخروج إلى تبوك لشدة الحر والجوع والعطش.

يزيغ قلوب: أي تميل عن الحق لشدة الحال وصعوبة الموقف.

الثلاثة الذين خلفوا: هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية.

---

(١) لفظ الساعة يطلق على ظرف الزمان يطول ويقصر فقد أطلق على يوم القيامة وأطلق على ستين دقيقة، والمراد بالساعة: أيام غزوة تبوك.

بما رحبت : أي على اتساعها ورحابتها.
أن لا ملجأ : أي إذ لا مكان للُّجوء فيه والهرب إليه.
الصادقين : في نياتهم وأقوالهم وأعمالهم والصدق ضد الكذب.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في أحداث غزوة تبوك وفي هذه الآيات الثلاث إعلان عن شرف وكرامة الرسول ﷺ وأصحابه البررة من الأنصار والمهاجرة إذ قال تعالى ﴿لقد تاب الله[1] على النبي والمهاجرين والأنصار﴾ أي أدامها (التوبة) وقبلها وقوله ﴿الذين اتبعوه في ساعة العسرة[2]﴾ أي عند خروجه إلى تبوك في الحر الشديد والفاقة الشديدة وقوله ﴿من بعد ما كاد يزيغ قلوب[3] فريق منهم﴾ وذلك لصعوبة الحال وشدة الموقف لقد عطشوا يوماً كما قال عمر رضي الله عنه كان أحدنا يذبح بعيره ويعصر فرثه فيشرب ماءه ويضع بعضه على كبده فخطر ببعض القوم خواطر كادت القلوب تزيغ أي تميل عن الحق ولكن الله تعالى ثبتهم فلم يقولوا سوءاً ولم يعملوه لأجل هذا أعلن الله تعالى في هذه الآيات عن كرامتهم وعلو مقامهم ثم تاب عليهم إنَّهُ هو التواب الرحيم وقوله ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية ومعنى خلفوا أرجئوا في البت في توبتهم إذ تقدم قوله تعالى ﴿وآخرون مرجون لأمر الله﴾ فقد تخلفت توبتهم خمسين يوماً ﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت[4] وضاقت عليهم أنفسهم[5] وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه﴾ فصبروا على شدة ألم النفس من جراء المقاطعة التي أعلنها رسول الله ﷺ لهم انتظاراً لحكم الله لأنهم تخلفوا عن الخروج مع رسول الله ﷺ إلى تبوك ولم يكن لهم عذر، فلذا لما قدم النبي ﷺ تقدم المخلفون فاعتذروا فقبل منهم رسول الله وتاب الله على المؤمنين منهم ولم يتقدم هؤلاء الثلاثة ليعتذروا خوفاً من الكذب فآثروا جانب

(١) قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت، التوبة على النبي ﷺ لأجل إذنه للمنافقين في القعود دليله قوله تعالى: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾؟ وعلى المؤمنين من ميل قلوب بعضهم إلى التخلف عنه.

(٢) (العسرة) صعوبة الأمر، قال جابر: اجتمع عليهم عسرة الظهر أي: (المركوب) وعسرة الزاد وعسرة الماء قال ابن عرفة: سمي جيش غزوة تبوك جيش العسرة: لأنّ النبي ﷺ ندب الناس إلى الغزو في حمارة الغيظ فغلظ عليهم وعسر.

(٣) تدارك قلوبهم حتى لم تزغ، وتلك سنته مع أوليائه إذا أشرفوا على العطب أمطر عليهم سحائب رحمته فأحيا قلوبهم.

(٤) ﴿رحبت﴾ بمعنى: اتسعت، وما: مصدرية، أي ضاقت عليهم الأرض برحبها: أي: على رحبها لأنهم كانوا مهجورين لا يكلمون ولا يعاملون حتى من أقرب الناس إليهم، وفي هذا دليل على مشروعية هجران أهل المعاصي حتى يتوبوا.

(٥) أي: ضاقت صدورهم بالهمّ.

الصدق فأذاقهم الله ألم المقاطعة ثم تاب عليهم وجعلهم مثلاً للصدق فدعا المؤمنين أن يكونوا معهم فقال ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ أي اتقوا الله باتباع اوامره واجتناب نواهيه وكونوا من الصادقين[1] في نياتهم وأقوالهم وأعمالهم تكونوا مع الصادقين في الآخرة مع النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما وسائر النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ بيان فضل أصحاب رسول الله ﷺ.

٢ـ بيان فضل غزوة العسرة على غيرها من الغزوات «وهي غزوة تبوك»

٣ـ بيان فضل الله على المؤمنين بعصمة قلوبهم من الزيغ في حال الشدة.

٤ـ بيان فضل كعب بن مالك وصاحبيه في صبرهم وصدقهم ولجوئهم إلى الله تعالى حتى فرج عليهم وتاب عليهم وكانوا مثالاً للصدق.

٥ـ وجوب التقوى والصدق في النيات والأقوال والأحوال والأعمال.

مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ

(١) فسّر (الصادقين): بأنهم الذين استوت ظواهرهم وبواطنهم قال ابن العربي: هذا القول هو الحقيقة والغاية التي إليها المنتهى.

وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ
فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ
وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

شرح الكلمات :

ومن حولهم من الأعراب : وهم مزينة وجهينة وأشجع وغفار وأسلم.

ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه : أي يطلبون لأنفسهم الراحة ولنفس رسول الله التعب والمشقة.

ظمأ : أي عطش.

ولا نصب : أي ولا تعب.

ولا مخمصة : أي مجاعة شديدة.

يغيظ الكفار : أي يصيبهم بغيظ في نفوسهم يحزنهم.

نيلا : أي منالاً من أسر أو قتل أو هزيمة للعدو.

وادياً : الوادي: مسيل الماء بين جبلين أو مرتفعين.

لينفروا كافة : أي يخرجوا للغزو والجهاد جميعاً.

طائفة : أي جماعة معدودة.

ليتفقهوا في الدين : أي ليعلموا أحكام الدين وأسرار شرائعه.

ولينذروا قومهم : أي ليخوفوهم عذاب النار بترك العمل بشرع الله.

لعلهم يحذرون : أي عذاب الله تعالى بالعلم والعمل.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في آثار أحداث غزوة تبوك فقال تعالى ﴿ما كان لأهل المدينة﴾[1]

(١) هذه الآية نزلت تحمل العتاب للمؤمنين من أهل المدينة والأحياء المجاورة لها كمزينة وجهينة وأشجع وغفار وأسلم على التخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك.

أي سكانها من المهاجرين والأنصار ﴿ومن حولهم من الأعراب﴾ أي ومن النازلين حول المدينة من الأعراب كمزينة وجهينة وغفار وأشجع وأسلم ﴿أن يتخلفوا عن رسول الله﴾ إذا خرج إلى جهاد ودعا بالنفير العام وفي هذا عتاب ولوم شديد لمن تخلفوا عن غزوة تبوك وقوله ﴿ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه﴾ أي بأن يطلبوا لأنفسهم الراحة دون نفس رسول الله ﷺ وقوله ﴿ذلك﴾ أي النهي الدال عليه بصيغة ما كان لأهل المدينة وهي أبلغ من النهي بأداته (لا) لأنه نفي للشأن أي هذا مما لا ينبغي أن يكون أبداً. وقوله ﴿بأنهم لا يصيبهم﴾ بسبب أنهم لا يصيبهم ﴿ظمأ﴾ أي عطش ﴿ولا نصب﴾ أي تعب ﴿ولا مخمصة﴾[1] أي جوع شديد في سبيل الله أي في جهاد أهل الكفر لإعلاء كلمة الإسلام التي هى كلمة الله ﴿ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار﴾ أي ولا يطأون أرضاً من أرض العدو يغتاظ لها العدو الكافر ويحزن ﴿ولا ينالون من عدو﴾[2] أي لله تعالى ﴿نيلاً﴾ أي منالاً أي أسرى أو قتلى أو غنيمة منه أو هزيمة له ﴿إلا كتب لهم به عمل صالح﴾ فلهذا لا ينبغي لهم أن يتخلفوا عن رسول الله ﷺ حتى لا يفوتهم هذا الأجر العظيم. وقوله ﴿إن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ تعليل لتقرير الأجر وإثباته لهم إن هُم خرجوا مع رسول الله ﷺ وأحسنوا الصحبة والعمل وقوله تعالى ﴿ولا ينفقون نفقة﴾ أي في سبيل الله الذي هو هنا الجهاد ﴿صغيرة ولا كبيرة﴾ أي قليلة ولا كثيرة ﴿ولا يقطعون وادياً﴾ ذاهبين إلى العدو أو راجعين ﴿إلا كتب لهم﴾[3] أي ذلك المذكور من النفقة والسير[4] في سبيل الله. وقوله تعالى ﴿ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون﴾ أي جزاء أحسن عمل كانوا يعملونه قبل خروجهم في سبيل الله. وقوله تعالى ﴿فلولا نفر من كل فرقة﴾[5] أي قبيلة منهم طائفة أي جماعة ﴿ليتفقهوا في الدين﴾ بما

---

(١) أصل المخمصة: ضمور البطن يقال: رجل خمص الباطن أي: ضامره وامرأة خمصانة.

(٢) يقال: نال الشيء يناله: إذا أصابه، فينالون: بمعنى يصيبون.

(٣) قال ابن عباس بكل روعة تنالهم في سبيل الله سبعون ألف حسنة. وجاء في الصحيح في شأن الخيل وفيه: (وأمّا التي هي له أجر فرجلٌ ربطها في سبيل الله لأهل الإسلام في مرج أو روضة فما أكلت من ذلك المرج أو الروضة إلا كتب عدد ما أكلت حسنات، وكتب له عدد أروائها وأبوالها حسنات).

(٤) روى مسلم وأبو داود أنّ النبي ﷺ قال: (لقد تركتم بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا أنفقتم من نفقة ولا قطعتم واديا إلا وهم معكم فيه قالوا يا رسول الله وكيف يكونون معنا وهم في المدينة؟ قال حبسهم العذر).

(٥) هذه الآية دليل على أن الجهاد فرض كفاية ولا يتعين إلا إذا عيّنة الإمام أو هاجم العدو دار قوم مؤمنين فيجب عليهم قتاله كافة كما هي نص في وجوب طلب العلم وهو بالرحلة الطويلة إليه. وفي الحديث (طلب العلم فريضة على كل مسلم) وهذا الحديث دليل على أن طلب العلم يكون فرض عين ويكون فرض كفاية.

يسمعون من رسول الله ﷺ ويتعلمونه منه ﴿ولينذروا قومهم﴾ عواقب الشرك والشر والفساد ﴿لعلهم يحذرون﴾ ذلك فينجون من خزى الدنيا وعذاب الآخرة هذه الآية نزلت لما سمع الملسمون ورأوا نتائج التخلف عن رسول الله ﷺ فقالوا لن نتخلف بعد اليوم عن رسول الله ﷺ أبداً ولا نتخلف عن غزو ما حيينا فأنزل الله تعالى هذه الآية يرشدهم إلى ما هو خير وأمثل فقال ﴿فلولا﴾ أي فهلا نفر من كل فرقة منهم أي قبيلة أو حيّ من أحيائهم طائفة فقط وتبقى طائفة منهم بدل أن يخرجوا كلهم ويتركون رسول الله ﷺ وحده فإن خروجهم على هذا النظام أنفع لهم فالذين يبقون مع رسول الله ﷺ أو يخرجون معه إذا خرج يتفقهون في الدين لصحبتهم لرسول الله ﷺ والباقون هم في مهام دينهم أيضاً ودنياهم فإذا رجع أولئك المتفقهون علموا إخوانهم ما فاتهم من العلم وأسرار الشرع كما أن الذين ينفرون إلى الجهاد قد يشاهدون من نصر الله لأوليائه وهزيمته لأعدائه ويشاهدون أيضاً ضعف الكفار وفساد قلوبهم وأخلاقهم وسوء حياتهم فيعودون إلى إخوانهم فينذرونهم ما عليه أهل الكفر والفساد فيحذرون منه ويتجنبونه وفي هذا خير للجميع وهو معنى قوله تعالى ﴿ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ وجوب إيثار رسول الله ﷺ على النفس بكل خير بل بالحياة كلها.

٢ـ بيان فضل السير في سبيل الله، وما فيه من الأجر العظيم.

٣ـ فضل الإحسان وأهله.

٤ـ تساوي فضل طلب العلم والجهاد على شرط النية الصالحة في الكل وطالب العلم لا ينال هذا الأجر إلا إذا كان يتعلم ليعلم ليعمل فيعلم مجاناً في سبيل الله والمجاهد لا ينال هذا الأجر إلا إذا كان لإعلاء كلمة الله خاصة.

٥ـ حاجة الأمة إلى الجهاد والمجاهدين كحاجتها إلى العلم والعلماء سواء بسواء.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾

شـرح الكلمـات :

آمنــوا : أي بالله ورسوله ووعد الله ووعيده .

الذين يلونكـم : أي يلون بلادكم وحدودها .

من الكفــار : من : بَيانِيَّة ، أي الكافرين .

وليجدوا فيكم غلظة : أي قوة بأس وشدة مراس ليرهبوكم وينهزموا أمامكم .

مع المتقيـن : أي بنصـره وتـأييده والمتقون هم الذين اتقوا الشرك والمعاصي والخروج عن السنن الإلهية في النصر والهزيمة .

معنى الآيـة الكريمة :

لما طهرت الجزيرة من الشرك وأصبحت دار إسلام وهذا في أخريات حياة الرسول ﷺ وذلك بعد غزوة تبوك أمر الله تعالى المؤمنين بأن يواصلوا الجهاد في سبيله بعد وفاة نبيه وأرشدهم إلى الطريقة التي يجب أن يتبعوها في ذلك وهي : أن يبدأوا بدعوة وقتال أقرب كافر منهم والمراد به الكافر المتاخم لحدودهم كالأردن أو الشام أو العراق مثلاً فيعسكروا على مقربة منهم ويدعونهم إلى خصلة من ثلاث : الدخول في دين الله الإسلام أو قبول حماية المسلمين لهم بدخولهم البلاد وضرب الجزية على القادرين منهم مقابل حمايتهم وتعليمهم وحكمهم بالعدل والرحمة الإسلامية أو القتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم فإذا ضمت أرض هذا العدو إلى بلادهم وأصبحت لهم حدود أخرى فعلوا كما فعلوا أولاً وهكذا حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، فتسعد البشرية في دنياها وآخرتها . وأمرهم أن يعلموا أن الله ما كلفهم بالجهاد إلا وهو معهم وناصرهم ولكن على شرط أن يتقوه في أمره ونهيه فهذا ما دلت عليه الآية الكريمة ﴿يا أيها الذين آمنوا[1] قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة[2]﴾ أي قوة بأس وشدة مراس في الحرب ﴿واعلموا[3] أن الله مع المتقين﴾ أي بنصره وتأييده .

---

(١) توجيه الخطاب للذين آمنوا دون النبي ﷺ فيه إيماء إلى أن النبي ﷺ لا يغزوالله بعد ذلك وأن أجله الشريف قد اقترب ، وفعلا فإنه ﷺ ما غزا بعد تبوك وإنّما حجّ حجة الوداع وبعدها بواحد وثمانين يوما استأثر الله تعالى بروحه الطاهرة الشريفة .

(٢) ﴿غلظة﴾ مثلثة الغين غِلظة الكسر لغة الحجاز، والضم لغة بني تميم ، والمراد الجرأة على القتال والصبر عليه مع العنف والشدة في القتل والقصد من هذا إلقاء الرعب في قلوب الكافرين حتى يخشوا قتال المسلمين .

(٣) افتتاح الجملة بـ اعلموا : للاهتمام بما يراد العلم به ، وفي الجملة تسلية للمؤمنين بعد فقد نبيهم ﷺ ، وأن الله معهم بالنصر والتأييد فاتقوه بلزوم طاعته وطاعة رسوله ﷺ في أمرهما ونهيهما في السلم والحرب .

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية الكريمة

١ـ وجوب الجهاد واستمراريته إلى أن لا تبقى فتنة أو شرك أو اضطهاد لمؤمن ويكون الدين والحكم كلاهما لله تعالى.

٢ـ مشروعية البداءة في الجهاد بأقرب الكفار إلى بلاد المسلمين من باب (الأقربون أولى بالمعروف).

٣ـ إذا اتسعت بلاد الإسلام تعين على أهل كل ناحية قتال من يليهم الأقرب فالأقرب.

٤ـ وعد الله بالنصر والتأييد لأهل التقوى العامة والخاصة.

وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ
إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ
﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا
إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ
أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ
لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ
سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ
ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ
﴿١٢٧﴾

شرح الكلمات:

سورة: أي قطعة من القرآن وسواء كانت آيات من سورة أو سورة بكاملها وحدها.

زادته إيماناً: أي السورة قوّت إيمانه وزادت فيه لأنها كالغيث النافع.

يستبشرون: فرحين بفضل الله تعالى عليهم.

في قلوبهم مرض : أي شك ونفاق وشرك.
فزادتهم رجساً : أي نجساً إلى نجس قلوبهم ونفوسهم.
يفتنون : أي يمتحنون.
ولا هم يذكرون : أي لايتعظون لموات قلوبهم.
صرف الله قلوبهم : دعاء عليهم بأن لا يرجعوا إلى الحق بعد انصرافهم عنه.
لا يفقهون : أي لا يفهمون أسرار الخطاب لظلمة قلوبهم وخبث نفوسهم.

معنى الآيات :

هذا آخر حديث عن المنافقين فى سورة براءة الفاضحة للمنافقين يقول تعالى ﴿وإذا ما أنزلت سورة﴾[1] أي من سور القرآن التي بلغت ١١٤ سورة نزلت وتليت وهم غائبون عن المجلس الذي تليت فيه، فمنهم أي من المنافقين من يقول: ﴿أيكم زادته هذه إيماناً﴾[2] وقولهم هذا تهكم منهم وازدراء قال تعالى ﴿فأما الذين آمنوا﴾ بحق وصدق ﴿فزادتهم إيماناً﴾ لأنها نزلت بأحكام أو أخبار لم تكن عندهم فآمنوا بها لما نزلت فزاد بذلك إيمانهم وكثر كما كان أن إيمانهم يقوى حتى يكون يقيناً بما يتنزل من الآيات وقوله ﴿وهم يستبشرون﴾ أي فرحون مسرورون بالخبر الذي نزل والقرآن كله خير كما هم أيضاً فرحون بإيمانهم وزيادة يقينهم ﴿وأما الذين في قلوبهم مرض﴾ أي شك ونفاق ﴿فزادتهم رجساً﴾[3] أي شكاً ونفاقاً ﴿إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾. وقوله تعالى ﴿أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين﴾[4] أي أيستمر هؤلاء المرضى بالنفاق على نفاقهم ولا يرون أنهم يفتنون أي من أجل نفاقهم مرة أو مرتين أي يختبرون بالتكاليف والفضائح وغيرها ﴿ثم لا يتوبون﴾ من نفاقهم ﴿ولا هم يذكرون﴾ فيتعظون فيتوبون هذا ما دلت عليه الآيات الأولى (١٢٤) والثانية (١٢٥) والثالثة (١٢٦) أما الآية الرابعة (١٢٧) فقد تضمنت سوء حال هؤلاء المنافقين وقبح سلوكهم فسجِّلَت عليهم وصمة عار وخزي إلى يوم القيامة إذ قال

---

(١) ﴿ما﴾ صلة لتقوية الكلام حسب الأسلوب العربي البليغ.
(٢) الإيمان لغة: التصديق. وشرعاً: تصديق الله ورسوله في كل ما أخبرا به وأركانه ستة ويزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.
(٣) شكاً إلى شكهم، وكفراً إلى كفرهم، وإثما إلى إثمهم إذ الشك والكفر من أعظم الآثام.
(٤) قال قتادة والحسن ومجاهد: بالغزو والجهاد مع النبي ﷺ ويرون ما وعد الله من النصر يُريد يتحقق أمامهم وكأنهم لا يعقلون.

تعـالى ﴿وإذا ما أُنزلت سورة﴾[1] أي وهم في المجلس وقرئت على الجالسين وهم من بينهم. ﴿نظر بعضهم الى بعض﴾ وقال في سرية ومُخافَتَه هيا نقوم من هذا المجلس الذي نعير فيه ونشتم ﴿هـل يراكم من أحـد﴾ أي من أصحـاب محمـد ﷺ فإن كان الجـواب : لا يرانا أحد انصرفوا متسللين لواذاً قال تعالى في دعاء عليهم : ﴿صرف الله قلوبهم﴾[2] أي عن الهدى ﴿بأنهم قوم لا يفقهون﴾ أي لا يفقهون أسرار الآيات وما تهدي إليه، فعلتهم سوء فهمهم وعلة سوء فهمهم ظلمـة قلوبهم وعلة تلك الـظلمة الشك والشرك والنفاق والعياذ بالله تعالى.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- **تقرير** مبدأ زيادة الإيمان ونقصانه زيادته بالطاعة ونقصانه بالعصيان.

٢- جواز الفرح بالإيمان وصالح الأعمال.

٣- مريض القلب يزداد مرضاً وصحيحه يزداد صحة سنة من سنن الله في العباد.

٤- كشف أغوار المنافقين وفضيحتهم في آخر آية من سورة التوبة تتحدث عنهم.

٥- يستحب أن لا يقـال انصـرفنا[3] من الصلاة أو الدرس ولكن يقال انقضت الصلاة أو انقضى الدرس ونحو ذلك.

لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ
عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ
رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

---

(١) ﴿ما﴾ صلة لتقوية الكلام.

(٢) هذه الجملة خبرية أخبر تعالى أنه جزاهم على انصرافهم من مجلس الرسول ﷺ بصرف قلوبهم عن الهدى فهم لا يهتدون إذاً أبدا وضمّن الخبر الدعاء عليهم، وقد تحقق معناه وهو صرف قلوبهم.

(٣) لأنَ الله ذمّ المنافقين لانصرافهم ودعا عليهم بصرف قلوبهم وصرفها ولو قيل انقلبنا من الصلاة أو من الجنازة لكان خيرا لقوله تعالى : ﴿فانقلبوا برحمة من الله وفضل﴾ الآية من سورة آل عمران.

شـرح الكلـمات :

رسول من أنفسكم : أي محمد بن عبدالله ﷺ من جنسكم عربي .

عزيز عليه : أي شاق صعب .

مـا عنتـم : أي ما يشق عليكم ويصعب تحمله .

حريـص عليـكم : أي حريص على هدايتكـم وما فيه خيركم وسعادتكم .

رؤوف : شـفـيق .

رحيـم : يرق ويعـطف ويرحم .

فإن تـولـوا : أي أعرضوا عن دين الله وما جئت به من الهدى

حسبي الله : أي كافـيّ الله .

لا إله إلا هو : أي لا معبود بحق إلا هو.

توكـلت : أي فوضت أمري إليه واعتمدت عليه .

رب العرش العظيم : عرش الله تعالى لا أعظم منه إلا خالقه عز وجل إذ كرسيه تعالى وسع السموات والأرض ونسبة الكرسي إلى العرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة .

معنى الآيتين الكريمتين :

في ختام سورة التوبة يقول الله تعالى لكافة العرب : ﴿لقد جاءكم رسول﴾[1] أي كريم عظيم ﴿من أنفسكم﴾[2] عدنـاني قرشي هاشمي مُطَّلِبي تعـرفـون نسبه وصدقه وأمانته . ﴿عزيز عليه ما عنتم﴾[3] أي يشق عليه ما يشق عليكم ويؤلمه ما يؤلمكم لأنه منكم ينصح لكم نصـح القوميّ لقومه . ﴿حريص عليكم﴾ أي على هدايتكم واكمالكم واسعادكم

---

(١) روي عن أبي أنه قال : هاتان الآيتان أقرب القرآن بالسماء عهدا وهذا لا ينافي أنّ آخر ما نزل من القرآن : ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾ .

(٢) قرىء : ﴿من أنفسكم﴾ أي : أشرفكم وأفضلكم إذ هو من النفاسة وهي تعلّق نفوس البشر بما هو أجمل وأكمل . وقراءة الجمهور أولى وهي الضم أي : من أنفسكم إذ ما من قبيلة من قبائل العرب إلا وولدت النبي ﷺ قاله ابن عباس رضي الله عنهما . وشاهده قوله ﷺ في رواية مسلم : (إن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم) وفي لفظ : (فأنا خيار من خيار) وهو ﷺ كذلك .

(٣) ﴿ما﴾ مصدرية تُسبكُ مع الفعل بمصدر فيكون الكلام عزيز عليه عنتكم والعنت : التعب ، وهو مصدر عنت يعنت عنتا . كأنّه يشير إلى أنّ ما لاقاه أصحابه من عنت أيام كانوا يحاربون أهليهم ، وذويهم وما نالهم من الغربة والفاقة ، والحرب كل ذلك كان يعزّ عليه ﷺ ويألم له فصلى الله وسلم عليه ما أرحمه وأوفاه ! !

﴿بالمؤمنين﴾ منكم ومن غيركم من سائر الناس ﴿رؤوف رحيم﴾ أي شفوق عطوف يحب رحمتهم وإيصال الخير لهم. إذاً فآمنوا به واتبعوا النور الذي جاء به تهتدوا وتسعدوا ولا تكفروا فتضلوا وتشقوا. وقوله تعالى ﴿فإن تولوا﴾ أي أعرضوا عن دعوتك فلا تأسَ وقل حسبي الله أي يكفيني ربي كل ما يهمني ﴿لا إله إلا هو﴾ أي لا معبود بحق سواه لذا فإني أعبده وأدعو إلى عبادته، ﴿عليه توكلت﴾[1] أي في شأني كله ﴿وهو رب العرش العظيم﴾ ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وهو على كل شيء قدير.

هداية الآيـتين

من هداية الآيـتين :

١- بيان مِنَّة الله تعالى على العرب خاصة وعلى البشرية عامة ببعثه خاتم أنبيائه محمد ﷺ.

٢- بيان كمال أخلاقه ﷺ.

٣- وجوب التوكل على الله تعالى والاعتماد عليه في كل شيء يقوم به العبد.

٤- عظمة عرش الرحمن عز وجل.

سُورَةُ يُونُسَ

مكيـــة[2]

وآياتها مائة وتسع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا
أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟
أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا
لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾

(١) عن أبي الدرداء أن من قال: إذا أصبح وإذا أمسى: حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم: سبع مرات كفاه الله ما أهمّه صادقا كان أو كاذبا).

(٢) ذكر بعضهم أن منها آيات قليلة مدنية، والظاهر أنها كلها مكية ومن تدبر آياتها من أوله إلى آخره لم ير ما يدعو إلى خلافه.

شـرح الكلمـات :

آلــر : هذه السورة الرابعة من السور المفتتحة بالحروف المقطعة تكتب آلر وتقرأ أَلفْ لام. را.

الكتــاب : أي القرآن العظيم.

الحكيــم : القائل بالحكمة والقرآن مشتمل على الحِكَم فهو حكيم ومحكم أيضاً.

عجبــاً : العجب ما يتعجب منه.

رجـل منهـم : هو محمد صلى الله عليه وسلم.

قـدم صـدق : أي أجراً حسناً بما قدموا في حياتهم من الإيمان وصالح الأعمال.

إن هــذا : أي القـرآن.

لسحرٌ[1] مبين : أي بين ظاهر لا خفاء فيه في كذبهم وادعائهم الباطل.

معنى الآيتين :

مما تعالجه السور المكية قضايا التوحيد والوحي والبعث الآخر وسورة يونس افتتحت بقضية الـوحي أي إثباته وتقريره من الله لرسوله محمد ﷺ قال تعالى ﴿آلر تلك آيات[2] الكتـاب الحكيم﴾[3] أي هذه آيات القرآن الكريم المحكم آياته المشتمل على الحكم الكثيرة حتى لكأنه الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه وقوله تعالى ﴿أكان للناس[4] عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم﴾ أي أكان ايحاؤنا إلى محمد عبدنا ورسولنا وهو رجل من قريش عجباً لأهل مكة يتعجبون منه؟ والموحى به هو: ﴿أن أنذر الناس﴾، أي خوفهم عاقبة الشرك والكفر والعصيان ﴿وبشر الذين آمنوا﴾ أي بأن لهم قدمَ[5] صدق عند ربهم وهو

---

(١) هذه قراءة نافع.

(٢) يذكر المفسرون عن السلف توجيهات عدة لهذه الحروف منها: ما رووه عن ابن عباس أن الر: معناها: أنا الله.. وكل ما ذكروه قول بالظن وإنّ الظن أكذب الحديث، ومن الخير تفويض أمر معناها إلى من أنزلها وقد ذكرنا في التفسير، فائدتين عظيمتين فلنكتف بهما.

(٣) قال مقاتل: الحكيم بمعنى: المحكم من الباطل لا يدخله ففعيل بمَعنى مُفعل واستشهد بقول الأعشى بذكر قصيدته التي قالها

وغريبة تأتي الملوك حكيمة   قد قلتها ليقال من ذا قالها

(٤) ﴿أكان للناس عجبا﴾: الاستفهام للتقريع والتوبيخ، وعجباً: خبر كان والاسم: أن أوحينا، والتقدير: أكان عجباً للناس إيحاؤونا.

(٥) ذكر القرطبي في تفسير ﴿قدم صدق﴾ أقوالا متعددة منها: سبق السعادة في الأزل، ومنها: أجر حسن، ومنها: منزل صدق، ومنها: ولد صالح قدّموه ومنها:يؤثر ذلك عن السلف، وما في التفسير هو الراجح إذ رجّحه إمام المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى.

الجزاء الحسن لما قدموا من الإيمان وصالح الأعمال يتلقونه يوم يلقون ربهم في الدار الآخرة فلما أنذر وبشر ﷺ قال الكافرون هذا سحر مبين ومرة قالوا: ساحر مبين وقولهم هذا لمجرد دفع الحق وعدم قبوله لا أن ما أنذر به وبشر هو سحر، ولا المنذر المبشر هو ساحر وإنما هو المجاحدة والعناد والمكابرة من أهل الشرك والكفر والباطل والشر والفساد.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تقرير عقيدة الوحي بشهادة الكتاب الموحى به.

٢- إثبات نبوة محمد ﷺ وتقريرها بالوحي إليه.

٣- بيان مهمة الرسول ﷺ وهي النذارة والبشارة.

٤- بشرى أهل الإيمان والعمل الصالح بما أعد لهم عند ربهم.

٥- عدم تورع أهل الكفر عن الكذب والتضليل.

إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ
إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ
يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ
أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ
ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ
وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ

اللَّهُ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾

شرح الكلمات :

إن ربكم الله : أي معبودكم الحق الذي يجب أن تعبدوه وحده هو الله.

خلق السموات والأرض : أي أوجدها من العدم حيث كانت عدماً فأصبحت عوالم.

في ستة أيام : هي الأحد والأثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة.

ثم استوى على العرش : أي استوى استواء يليق به عز وجل فلا يقال كيف؟

ما من شفيع إلا من بعد إذنه : أي لا يشفع أحد يوم القيامة إلا من بعد أن يأذن له.

أفلا تذكرون : أي أتستمرون في جحودكم وعنادكم فلا تذكرون.

ثم يعيده : أي بعد الفناء والبلى وذلك يوم القيامة.

شراب من حميم : أي من ماء أُحمي عليه وغلى[1] حتى أصبح حميماً يشوي الوجوه.

جعل الشمس ضياء[2] : أي جعلها تضيء على الأرض.

والقمر نوراً : أي جعل القمر بنور الأرض وهو الذي خلق ضوء الشمس ونور القمر.

وقدره منازل : أي قدر القمر منازل والشمس كذلك.

لتعلموا : أي قدرهما منازل ليعلم الناس عدد السنين والحساب.

يتقون : أي مساخط الله وعذابه وذلك بطاعته وطاعة رسوله.

معنى الآيات :

هذه الآيات في تقرير الألوهية بعد تقرير الوحي واثباته في الآيتين السابقتين فقوله تعالى ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر﴾ إخبار منه تعالى أنه عز وجل هو رب أي معبود أولئك المشركين به آلهة أصناماً

(١) غلى الماء يغلي غليانا إذا اشتدت حرارته ففار دخاناً.

(٢) الضياء: نور ساطع يضيء للرائي الأشياء وهو اسم مشتق من الضوء فالضياء أقوى من الضوء.

يعبدونها معه وهي لم تخلق شيئاً أما الله فإنه الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام بمقدار أيامنا هذه إذ لم تكن يومئذ أياماً كأيام الدنيا هذه، ثم استوى على عرشه استواء يليق بجلاله وكماله يدبر[1] أمر السماء والأرض. هذا هو الإله الحق الذي يجب أن يعبد ويتقرب إليه. وقوله: ﴿ما من[2] شفيع إلا من بعد إذنه﴾ أي وأنه لعظمته وعزة سلطانه لا يقدر أحد أن يشفع لآخر إلا بعد إذنه له فكيف إذاً تعبد هذه الأصنام رجاء شفاعتها لعابديها، والله لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه؟ وقوله تعالى ﴿ذلكم الله ربكم فاعبدوه﴾ أي هذا الموصوف بهذه الصفات المُعرَّف بهذه النعوت من الجلال والكمال هو ربكم الحق فاعبدوه بما شرع لكم من أنواع العبادات تكملوا وتسعدوا وقوله ﴿أفلا تذكرون﴾ هو توبيخ للمشركين لهم لِمَ لا تتعظون بعد سماع الحق. وقوله تعالى ﴿إليه مرجعكم بعد موتكم جميعاً وعد الله حقاً[3]﴾ تقرير لمبدأ البعث الآخر أي إلى الله تعالى ربكم الحق مُرجعكم بعد موتكم جميعاً إذ وعدكم وعد الحق بالرجوع إليه والوقوف بين يديه وقوله ﴿ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط[4]﴾ أي بالعدل: بيان لعلة الحياة بعد الموت إذ هذه الدار دار عمل والآخرة دار جزاء على هذا العمل فلذا كان البعث واجباً حتماً لا بد منه ولا معنى لإنكاره لأن القادر على البدء قادر على الإعادة من باب أولى وأحرى وقوله تعالى ﴿والذين كفروا لهم شراب من حميم﴾ أي ماء حار قد بلغ المنتهى في حرارته وعذاب أليم أي موجع اخبار منه تعالى بجزاء أهل الكفر يوم القيامة وهو علة أيضاً للحياة بعد الموت والبعث بعد الفناء وبهذا تقرر مبدأ البعث كما تقرر قبله مبدأ التوحيد ومن قبل مبدأ الوحي إذ على هذه القضايا تدور السور المكية وقوله تعالى ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء﴾ أي ذات ضياء والقمر نوراً ذا نور وقدر القمر منازل[5] وهي ثمانية وعشرون منزلة يتنقل فيها القمر، فعل ذلك ﴿لتعلموا عدد السنين والحساب[6]﴾ فتعرفون

---

(١) قال مجاهد: يقضيه ويقدره وحده، وقيل: يأمر به ويمضيه. قال القرطبي: والمعنى متقارب

(٢) ﴿ما من شفيع﴾ أي: لا شفيع يشفع إلا بعد إذنه له بالشفاعة.

(٣) ﴿وعدا﴾ و﴿حقا﴾: مصدران بمعنى وعدكم وعدا وأحقه حقا. أي: صدقا لا خلف فيه.

(٤) الجملة: ﴿إنه يبدؤ الخلق﴾: واقعة موقع الدليل على إنجاز وعده تعالى لأنّ الذي خلق من تراب وماء قادر على البعث والجزاء.

(٥) المنازل: جمع منزل، وهو مكان النزول والمراد بها سُمُوتُ بلوغ القمر فيها للناس كل ليلة في سمت منها كأنه ينزل بها، وللشمس منازل تسمى بروجاً وهي اثنا عشر برجا تحل فيها الشمس في فصول السنة لكل برج منزلتان وثلث.

(٦) ﴿الحساب﴾ مصدر حسُب يحسُب بضم السين حسابا بمعنى عدَّ أما حسِب بكسر السين فهو بمعنى ظن ومضارعه يحسب بفتح السين وكسرها لغتان فصيحتان. وبهما قرىء: أيحسب الإنسان وكل يحسب بمعنى يظن

عدد السنوات والشهور والأيام والساعات إذ حياتكم تحتاج إلى ذلك فهذا الرب القادر على هذا الخلق والتدبير هو المعبود الحق الذي يجب أن تعبدوه ولا تعبدوا سواه فهذا تقرير للتوحيد وتأكيد له. وقوله ﴿ما خلق الله ذلك إلا بالحق﴾ أي لم يخلق هذه الحياة الدنيا وهذه العوالم فيها عبثاً فتفنى وتبلى بعد حين ولا شيء وراء ذلك بل ما خلق ذلك إلا بالحق أي من أجل أن يأمر وينهى ثم يجزي المطيع بطاعته والعاصي بعصيانه وفي هذا تأكيد لقضية البعث والجزاء أيضاً وقوله ﴿يفصل الآيات﴾ أي هذا التفصيل المشاهد في هذا السياق ﴿لقوم يعلمون﴾ إذ هم الذين ينتفعون به أما الجهلة فلا ينتفعون بهذا التفصيل والبيان وقوله تعالى في الآية الأخيرة ﴿إن في اختلاف الليل والنهار﴾ أي بالطول والقصر والضياء والظلام ﴿وما خلق الله في السموات والأرض﴾[1] من أفلاك وكواكب ورياح وأمطار وما خلق في الأرض من إنسان وحيوان وبر وبحر وأنهار وأشجار وجبال ووهاد ﴿لآيات﴾ أي علامات واضحة دالة على الخالق المعبود بحق وعلى جلاله وجماله وكماله وعظيم قدرته وقوة سلطانه فيُعبد لذلك بحبه غاية الحب وبتعظيمه غاية التعظيم وبرهبته والخشية منه غاية الرهبة والخشية ويذكر فلا يُنسى ويشكر فلا يُكفر ويطاع فلا يُعصى وقوله تعالى ﴿لقوم يتقون﴾[2] خص أهل التقوى بالآيات فيما ذكر من مظاهر خلقه وقدرته لأنهم هم الذين حقاً يبصرون ذلك ويشاهدونه لصفاء أرواحهم وطهارة قلوبهم ونفوسهم أما أهل الشرك والمعاصي فهم في ظلمة لا يشاهدون معها شيئاً والعياذ بالله.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ تقرير ألوهية الله تعالى وأنه الإله الحق.

٢ـ تقرير عقيدة البعث والجزاء في الدار الآخرة.

٣ـ بيان الحكمة في خلق الشمس والقمر وتقدير منازلهما.

٤ـ مشروعية تعلم الحساب وعلم الفلك لما هو نافع للمسلمين.

---

(١) قوله: ﴿وما خلق الله في السموات والأرض﴾ شمل الأجسام والأحوال معاً أي: الذوات والصفات، والأقوال والأعمال أيضاً إذ قال تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾.

(٢) خصهم بالآيات لأنهم هم الذين ينتفعون بها أما أهل الشرك والفجور والمعاصي فلا ينتفعون بها فهي إذاً ليست لهم بل هي لغيرهم ممن ينتفعون بها.

٥- فضل العلم والتقوى وأهلهما من المؤمنين.

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟
بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ
ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن
تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ
ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾

شرح الكلمات:

لا يرجون لقاءنا	: أي لا ينتظرون ولا يؤملون في لقاء الله تعالى يوم القيامة.
ورضوا بالحياة الدنيا	: أي بدلاً عن الآخرة فلم يفكروا في الدار الآخرة.
واطمأنوا بها	: أي سكنوا إليها وركنوا فلم يروا غيرها حياة يُعمل لها.
غافلون	: لا ينظرون إليها ولا يفكرون فيها.
مأواهم النار	: أي النار هي المأوى الذي يأوون إليه وليس لهم سواها.
يهديهم ربهم بإيمانهم[1]	: أي بأن يجعل لهم بإيمانهم نوراً يهتدون به إلى الجنة.
دعواهم فيها سبحانك اللهم[2]	: أي يطلبون ما شاءوا بكلمة سبحانك اللهم.
وآخر دعواهم أن الحمد لله	: أي آخر دعائهم: الحمد لله رب العالمين.

معنى الآيات:

بعد تقرير الوحي والألوهية في الآيات السابقة ذكر تعالى في هذه الآيات الثلاث

---

(١) قال مجاهد: ﴿يهديهم ربهم﴾ بالنور على الصراط إلى الجنة بأن يجعل لهم نوراً يمشون به، وشاهده قوله تعالى: ﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات الخ﴾.

(٢) الدعوى هنا: بمعنى الدعاء يقال: دعوة بالهاء ودعوى بألف التأنيث وسبحان: مصدر بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه.

الكريمة بيان جزاء كل ممن كذب بلقاء الله فلم يرجُ ثواباً ولم يخشَ عقاباً ورضيَ بالحياة الدنيا واطمأن بها، وممن آمن بالله ولقائه ووعده ووعيده فآمن بذلك وعمل صالحاً فقال تعالى ﴿إن الذين لا يرجون[1] لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها[2]﴾ أي سكنت نفوسهم إليها وركنوا فعلاً إليها ﴿والذين هم عن آياتنا غافلون﴾ أي آياته الكونية في الآفاق والقرآنية وهي حُجج الله تعالى وأدلته الدالة على وجوده وتوحيده ووحيه وشرعه غافلون عنها لا ينظرون فيها ولا يفكرون فيما تدل لإنهماكهم في الدنيا حيث أقبلوا عليها وأعطوها قلوبهم ووجوههم وكل جوارحهم. هؤلاء يقول تعالى في جزائهم ﴿أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون﴾ أي من الظلم والشر والفساد. ويقول تعالى في جزاء من آمن بلقائه ورجا ما عنده ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم﴾ أي إلى طريق الجنة ﴿بإيمانهم﴾ أي بنور إيمانهم فيدخلونها ﴿تجري من تحتهم[3] الأنهار في جنات النعيم﴾. ونعيم الجنة روحاني وجسماني فالجسماني يحصلون عليه بقولهم: سبحانك اللهم، فإذا قال أحدهم هذه الجملة «سبحانك اللهم»[4] حضر لديه كل مُشتهى له. والروحاني يحصلون عليه بسلام الله تعالى عليهم وملائكته ﴿وتحيتهم فيها سلام﴾. وإذا فرغوا من المآكل والمشارب قالوا: الحمد لله رب العالمين. وهذا معنى قوله ﴿دعواهم فيها سبحانك اللهم﴾ أي دعاؤهم أي صيغة طلبهم ﴿وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم﴾ أي دعائهم ﴿أن﴾ أي أنه: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾[5].

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- التحذير من نسيان الآخرة والإقبال على الدنيا والجري وراء زخارفها.

---

(١) ﴿لا يرجون لقاءنا﴾ معناه أنهم لا يطلبونه ولا يتوقعونه، ولازم ذلك أنهم لا يخافون عقاباً أخرويا ولا ثوابا.

(٢) أي: سكنت نفوسهم إليها وصرفوا كل هممهم لها طلبا لتحصيل منافعها فلم يسعوا لتحصيل ما ينفع في الآخرة لأنهم سكنوا إلى الدنيا، والساكن لا يتحرّك ووصف بأنه لها يرضى ولها يغضب ولها يفرح ولها يهتم ويحزن.

(٣) ﴿من تحتهم﴾ من تحت بساتنهم ومن تحت أسرّتهم كذلك وهو أحسن في النزهة والفرجة.

(٤) إنه ثناء مسوق للتعرض إلى إفاضة النعيم من طعام وشراب وهو كما قال ابن أبي الصلت:

إذا أثنى عليك المرء يوما كفاه من تعرّضه الثناء

(٥) في الآية دليل على اطلاق لفظ التسبيح على الدعاء وشاهده: دعوة ذي النون: ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ وفيها دليل على مشروعية بل سنية بدء الطعام والشراب ببسم الله. وإنهائه بحمد الله تعالى كما هي السنة في ذلك.

٢- التحذير من الغفلة بعدم التفكر بالآيات الكونية والقرآنية إذ هذا التفكير هو سبيل الهداية والنجاة من الغواية.

٣- الإيمان والعمل الصالح مفتاح الجنة والطريق الهادي إليها.

٤- نعيم الجنة روحاني وجسماني وهوحاصل ثلاث كلمات هي:

سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام. وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ
ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ
لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ
ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا
عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ
لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ
مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَمَا كَانُوا۟
لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰكُمْ
خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

شرح الكلمات:

الشر : كل ما فيه ضرر في العقل أو الجسم أو المال والولد، والخير عكسه: ما فيه نفع يعود على الجسم أو المال أو الولد.

لقضي إليهم أجلهم : لهلكوا وماتوا.

فنذر : أي نترك.

في طغيانهم يعمهون : أي في ظلمهم وكفرهم يترددون لا يخرجون منه كالعميان.

الضر : المرض وكل ما يضر في جسمه، أو ماله أو ولده.

مر كأن لم يدعنا : مضى في كفره وباطله كأن لم يكن ذاك الذي دعا بكشف ضره.

كذلك زين[1] : مثل ذلك النسيان بسرعة لما كان يدعو لكشفه، زين للمسرفين إسرافهم في الظلم والشر.

القـــرون : أي أهل القرون.

بالبينـــات : بالحجج والآيات على صدقهم في دعوتهم.

خـــلائـف : أي لهم، تخلفونهم بعد هلاكهم.

معنى الآيـات :

هذه الفترة التي كانت تنزل فيها هذه السورة المكية كان المشركون في مكة في هيجان واضطراب كبيرين حتى إنهم كانوا يطالبون بنزول العذاب عليهم إذ ذكر تعالى ذلك عنهم في غير آية من كتابه منها ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾ ومنها ﴿ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب﴾ وفي هذا الشأن نزل قوله تعالى ﴿ولو يعجّل الله للناس الشر[2]﴾ أي عند سؤالهم إياه،[3] أو فعلهم ما يقتضيه كاستعجاله الخير لهم ﴿لقضي إليهم أجلهم﴾ أي لهلكـوا الهلاك العام وانتهى أجلهم في هذه الحياة، وقوله تعالى ﴿فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون﴾ أي لم نعجل لهم العذاب فنذر الذين لا يرجون لقاءنا أي لا يؤمنون بلقائنا وما عندنا من نعيم وجحيم نتركهم في طغيانهم في الكفر والظلم والشر والفساد يعمهون حيارى يترددون لا يعرفون مُتجهاً ولا مخرجاً لما هم فيه من الضلال والعمى.

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١١) أما الآية الثانية (١٢) فقد تضمنت بيان حقيقة وهي أن الإنسان الذي يعيش في ظلمة الكفر ولم يستنر بنور الإيمان إذا مسه الضر وهو

---

(١) قال القرطبي وهو صادق، كما زيّن لهذا الدعاء عند البلاء والإعراض عند الرخاء زيّن للمسرفين في الشرك والمعاصي أعمالهم في ذلك.

(٢) فسّر الشرّ بالعقوبة إذ الشر كل ما يلحق الضرر بالإنسان عاجلا أو آجلا، والعقوبة كلها شر إذ هي عذاب انتقام ينزل بصاحبه.

(٣) قال مجاهد: هذه الآية نزلت في الرجل يدعو على نفسه أو ماله أو ولده إذا غضب. اللهم أهلكه اللهم لا تبارك فيه اللهم العنه فلو استجيب ذلك منه كما يستجاب الخير لقضى إليهم أجلهم. ولا أحسب أنّ الآية نزلت في هذا وإنما هي شاهد لما قال فقط، وشاهد آخر رواه البزار وأبو داود وهو قوله ﷺ: (لاتدعوا على أنفسكم لا تدعوا على أولادكم لاتدعوا على أموالكم لا توافقوا من الله ساعة فيها إجابة فيستجيب لكم).

المرض والفقر وكل ما يضر دعا ربه على الفور لجنبه أو قاعداً أو قائماً يا رباه يا رباه فإذا استجاب الله له وكشف ما به من ضر مرَّ كأن لم يكن مرض ولا دعا واستجيب له واستمر في كفره وظلمه وغيّه. وقوله تعالى ﴿كذلك زُين للمسرفين ما كانوا يعملون﴾ أي كما أن الإنسان الكافر سرعان ما ينسى ربه الذي دعاه ففرج ما به كذلك حال المسرفين في الظلم والشر فإنهم يرون ما هم عليه هو العدل والخير ولذا يستمرون في ظلمهم وشرهم وفسادهم. هذا ما دل عليه قوله تعالى ﴿كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون﴾.

وقوله تعالى في الآية الثالثة ﴿ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا﴾ هذا خطاب لأهل مكة يخبرهم تعالى مهدداً إياهم بإمضاء سنته فيهم بأنه أهلك أهل القرون من قبلهم لَمَّا ظلموا أي أشركوا وجاءتهم رسلهم بالبينات[1] أي بالآيات والحجج، وأبوْا أن يؤمنوا لِما ألفوا من الشرك والمعاصي فأهلكهم كعاد وثمود وأصحاب مدين وقوله تعالى ﴿كذلك نجزي القوم المجرمين﴾ أي مثل ذلك الجزاء بالإهلاك العام نجزي القوم المجرمين في كل زمان ومكان إن لم يؤمنوا ويستقيموا. وقوله تعالى ﴿ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون﴾ أي يقول لمشركي العرب من أهل مكة وغيرها، ثم جعلناكم خلائف[2] في الأرض بعد إهلاك من قبلكم لننظر[3] كيف تعملون فإن كان عملكم خيراً جزيناكم به وإن كان سوءاً جزيناكم به وتلك سنتنا في عبادنا وما الله بغافل عما يعمل الظالمون.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ مظاهر رحمة الله بعباده إذ لو عجل لهم ما يطلبون من العذاب كما يعجل لهم الخير عندما يطلبونه لأهلكهم وقضى إليهم أجلهم فماتوا.

٢ـ يعصي الله العصاةُ ويكفر به الكافرون ويتركهم في باطلهم وشرهم فلا يعجل لهم العذاب لعلهم يرجعون.

---

(١) أي: بالمعجزات الواضحات كالتي أتى بها موسى وعيسى عليهما السلام.

(٢) الخلائف: جمع خليفة وحرف ثم مُؤذن ببعد ما بين الزمانين، والأرض: هي أرض العرب إذ هم الذين خلفوا عاداً وثموداً وقبلهما طسما وجديساً.

(٣) هذا التعليل كقوله تعالى: ﴿هو الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ إذ علّة الوجود هي أن يذكر الله ويشكر، فمن ذكره وشكره أكرمه وأسعده ومن كفره ونساه عذّبه وأشقاه.

٣- بيان أن الإنسان الكافر يعرف الله عند الشدة ويدعوه ويضرع إليه فإذا نجاه عاد إلى الكفر به كأن لم يكن يعرفه .

٤- استمرار المشركين على إسرافهم في الكفر والشر والفساد مُزين لهم[(١)] حسب سنة الله تعالى . فمثلهم مثل الكافر يدعو عند الشدة وينسى عند الفرج .

٥- وعيد الله لأهل الإجرام بالعذاب العاجل أو الآجل إن لم يتوبوا .

٦- كل الناس أفراداً وأمماً مُمهَلون مُراقَبُون في أعمالهم وسلوكهم ومَجزيون بأعمالهم خيرها وشرها لا محالة .

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ
لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ
أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ
أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ
ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ
فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ
لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا
عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا
فِي ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾

(١) شاهده قوله تعالى : ﴿كذلك زيّنا لكلّ أمة عملهم﴾ من سورة الأنعام .

شـرح الكلـمات :

لا يرجون لقاءنا : أي لا يؤمنون بالبعث والدار الآخرة.

من تلقاء نفسي : أي من جهة نفسي.

ولا أد راكم به : أي لا أعلمكم به.

عمـراً من قبله : أي أربعين سنة قبل أن يوحى إليّ.

المـجرمــون : المفسدون لأنفسهم بالشرك والمعاصي.

ما لا يضـرهم : أي إن لم يعبـدوه.

ومالا ينفعهـم : أي إن عبـدوه.

أتنبئـون : أي أتعلّمون وتخبرون الله.

ســبحانه : أي تنـزيها له.

عمـا يشـركون : أي به معه من الأصـنام.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في تقرير قضايا أصول الدين الثلاث: التوحيد والوحي والبعث فقوله تعالى ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا﴾ أي إذا قرئت عليهم آيات الله عز وجل ﴿قال الذين لا يرجون لقاءنا﴾[1] وهم المنكرون للبعث إذ به يتم اللقاء مع الله تعالى للحساب والجزاء. ﴿إئت بقرآن غير هذا﴾ أي بأن يكون خالياً من عيب آلهتنا وانتقاصها. أو أبْقه ولكن بدل كلماته بما لا يسوءنا فاجعل مكان آية فيها ما يسوءنا آية أخرى لا إساءة فيها لنا وقولهم هذا إما أن يكون من باب التحدي أو الاستهزاء والسخرية[2] ولكن الله تعالى علّم رسوله طريقة الرد عليهم بناء على ظاهر قولهم فقال له ﴿قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي﴾ أي إنه لا يتأتّى لي بحال أن أبدله من جهة نفسي لأني عبدالله ورسوله ما اتبع إلا ما يوحى

---

(١) عن مجاهد: أن المطالبين بهذا هم خمسة أنفار: عبدالله بن أميّة والوليد بن المغيرة، ومكرز بن حفص، وعمرو بن عبدالله بن أبي قيس والعاصي بن عامر قالوا للنبي ﷺ إئت بقرآن ليس فيه ترك عبادة الأصنام واللّات والعزّى ومناة وهبل وليس فيه عيبها.

(٢) وإمّا أن يكون من باب توهمهم ان الرسول ﷺ يأتي به من تلقاء نفسه إلاّ أنّ هذا الاحتمال ضعيف.

إلي ﴿إني[1] أخاف إن عصيت ربي﴾ بتبديل كلامه ﴿عذاب يوم عظيم﴾ أي عذاب يوم القيامة وقوله ﴿قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به﴾ أي قل لهم رداً على طلبهم: لو شاء الله أن لا أتلوه عليكم ما تلوته عليكم، ولا أدراكم هو به أي ولا أعلَمكم فالأمر أمره وأنا لا أعصيه ويدل لكم على صحة ما أقول: إني لبثت فيكم عُمراً[2] أي أربعين سنة قبل أن آتيكم به ﴿أفلا تعقلون﴾: معنى ما أقول لكم من الكلام وما أذكر لكم من الحجج؟.

هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى والثانية (١٥ ـ ١٦) أما الآية الثالثة فقد تضمنت التنديد بالمجرمين الذين يكْذِبون على الله تعالى بنسبة الشريك إليه ويكذِّبون بآياته ويجحدونها فقال تعالى ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾[3] أي لا أحد أظلم منه ﴿أو كذب بآياته﴾ بعدما جاءته أي لا أحد أظلم من الأثنين، وقوله تعالى ﴿إنه لا يفلح المجرمون﴾ دل أولاً على أن المذكورين مجرمون وأنهم لا يفلحون شأنهم شأن كل المجرمين. وإذا لم يفلحوا فقد خابوا وخسروا. وقوله تعالى في الآية الرابعة ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم﴾ أي من الأصنام ﴿ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾[4] وهم في ذلك كاذبون مفترون فلذا أمر الله أن يرد عليهم بقوله ﴿قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض﴾ إذ لو كان هناك من يشفع عنده لعِلمَهُم وأخبر عنهم فلم الكذب على الله والافتراء عليه ثم نزه الله تعالى نفسه عن الشرك به والشركاء له فقال ﴿سبحانه وتعالى عما يشركون﴾.

هداية الآيـات

من هدايـة الآيات:

١ ـ من الدعوة إلى الله تعالى تلاوة آياته القرآنية على الناس تذكيراً وتعليماً.

---

(١) جملة: ﴿إنّي أخاف﴾ جملة تعليلية لجملة: ﴿إن أتبع إلا ما يوحى إليّ﴾.

(٢) العمر: الحياة مشتق من العمران، لأنّ مدة الحياة يعمر بها الحي العالم الأرضي، ويطلق العمر على المدة الطويلة التي لو عاش الإنسان مقدارها لكان أخذ حظه من البقاء. والمراد من قوله ﴿عمراً﴾ أي: لبثت بينكم مدة عمر كامل. إذ هي أربعون سنة.

(٣) في هذه الآية زيادة ردّ على المطالبين بتبديل القرآن إذ تبديله ظلم والزيادة فيه كذب على الله تعالى ولا أحد أظلم ممن يفترى على الله الكذب، فكيف يسوغ لي أن افتري على الله الكذب أو أبدل كلامه.

(٤) إن قولهم: هؤلاء ﴿شفعاؤنا﴾ لأصنام لا تنفع ولا تضر ولا تسمع ولا تبصر هو غاية الجهل، ومرادهم من شفاعتها أنها تشفع لهم عند الله في إصلاح معاشهم في الدنيا.

٢ـ بيان ما كان عليه المشركون من تعنت وجحود ومكابرة .

٣ـ كون النبي ﷺ عاش أربعين سنة لم يعرف فيها علماً ولا معرفة ثم برز في شيء من العلوم والمعارف فتفوق وفاق كل أحد دليل على أنه نبي يوحى إليه قطعاً .

٤ـ لا أحد أظلم من أحد رجلين رجل يكذب على الله تعالى وآخر يكذِّب الله تعالى .

٥ـ إبطال دعوى المشركين أن آلهتهم تشفع لهم عند الله يوم القيامة .

٦ـ بيان سبب عبادة المشركين لآلهتهم وهو رجاؤهم شفاعتها لهم .

وَمَا كَانَ
ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا
ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

أمة واحدة : أي على دين واحد هو الإسلام .

فاختلفوا : أي تفرقوا بأن بقي بعض على التوحيد وبعض على الشرك .

كلمة سبقت : بإبقائهم إلى آجالهم ومجازاتهم يوم القيامة .

آية : خارقة كناقة صالح عليه السلام .

إنما الغيب لله : أي إن علم الآية متىٰ تأتي من الغيب والغيب لله وحده فلا أنا ولا أنتم تعلمون إذاً فانتظروا إنا معكم من المنتظرين .

معنى الآيتين :

يخبر تعالى رسوله بحقيقة علمية تاريخية من شأن العلم بها المساعدة على الصبر والتحمل فيقول ﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة﴾ أي في زمن سابق أمة واحدة على دين التوحيد دين الفطرة ثم حدث أن أحدثت لهم شياطين الجن والإنس البدع والأهواء

والشرك فاختلفوا فمنهم من ثبت على الإيمان والتوحيد ومنهم من كفر بالشرك والضلال. وقـوله تعالى ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾[1] وهي أنه لا يعجل العذاب للأمم والأفراد بكفرهم وإنما يؤخرهم إلى آجالهم ليجزيهم في دار الجزاء بعذاب النار يوم القيامة لولا كلمته والتي هي ﴿لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين﴾ لعجل لهم العذاب فحكم بينهم بأن أهلك الكافر وأنجى المؤمن.

هذا ما دلت عليه الآية الأولى (١٩) أما الآية الثانية (٢٠) فيخبر تعالى عن المشركين أنهم قالوا ﴿لولا أنزل عليه آية من ربه﴾[2] أي هلاَّ أُنزل على محمد آية خارقة من ربه لنعلم ونستدل بها على أنه رسول الله وقد يريدون بالآية عذاباً فلذا أمر الله رسوله أن يرد عليهم بقوله ﴿إنما الغيب لله﴾ فهو وحده يعلم متى يأتيكم العذاب وعليه ﴿فانتظروا إني معكم[3] من المنتظرين﴾ ولم تطل مدة الانتظار ونزل بهم العذاب ببدر فهلك رؤساؤهم وأكابر المستهزئين.

هداية الآيـات

من هداية الآيات:

١- الأصل هو التوحيد والشرك طارىء.

٢- الشر والشرك هما اللذان يحدثان الخلاف في الأمة والتفرق فيها أما التوحيد والخير فلا يترتب عليهما خلاف ولا حرب ولا فرقة.

٣- بيان علة بقاء أهل الظلم والشرك يظلمون ويفسدون إلى آجالهم.

٤- الغيب كله لله فلا أحد يعلم الغيب إلا الله ومن علَّمه الله شيئاً منه وهذا خاص بالرسل لإقامة الحجة على أممهم.

وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ

(١) في الآية إشارة إلى القضاء والقدر أي: لولا ما سبق في حكمه أنه لا يقضي بينهم فيما اختلفوا فيه بالثواب والعقاب قبل يوم القيامة.

(٢) يريدون معجزة كمعجزات صالح وموسى وعيسى عليهم السلام أو اية غير القرآن كأن يحيي لهم الموتى أو يجعل الجبل ذهبا أو يكون له بيت من زخرف.

(٣) في الجملة تعريض بتهديدهم على جراء تهم على الله ومطالبتهم بالآيات، والآيات القرآنية معرضون عنها وهي أعظم مما يطلبون.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ﴾ ٢١
وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ
وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟
ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ
ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ
ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾

شرح الكلمات :

رحمة : أي مطر بعد قحط أو صحة بعد مرض أو غنى بعد فاقة.

ضراء : حالة من الضر بالمرض والجدب والفقر.

مكر في آياتنا : أي استهزاء بها وتكذيب.

إن رسلنا : أي الحفظة من الملائكة.

يسيركم[1] : أي يجعلكم تسيرون بما حولكم من مراكب وما يسر لكم من أسباب.

بريح طيبة : أي مناسبة لسير السفن موافقة لغرضهم.

ريح عاصف : أي شديدة تعصف بالشجر فتقتلعه والبناء فتهدمه.

وأحيط بهم : أي أحدق بهم الهلاك من كل جهة.

يبغون بغير الحق[2] : أي يظلمون مجانبين للحق والاعتدال.

معنى الآيات :

ما زال السياق في دعوة أهل مكة إلى توحيد الله والإيمان برسوله والدار الآخرة فيقول

(١) قرأ ابن عامر ينشركم بالنون والشين أي يبثكم ويفرقكم والفلك: يطلق على الواحد والجمع ويذكر ويؤنث.

(٢) البغي: الاعتداء والظلم مأخوذ من بغا الجرح إذا فسد فهو من الفساد.

تعالى ﴿وإذا أذقنا الناس﴾ أي كفار مكة ﴿رحمة من بعد ضراء مستهم﴾ أي أذقناهم طعم الرحمة التي هي المطر بعد الجفاف والغنى بعد الفاقة والصحة بعد المرض.وهي الضراء التي مستهم فترة من الزمن. يفاجئونك[1] بالمكر بآيات الله وهو استهزاؤهم بها والتكذيب بها وبمن أُنزلت عليه. وقوله تعالى ﴿قل الله أسرع مكراً﴾ أي قل يارسولنا لهؤلاء الماكرين من المشركين الله عز وجل أسرع مكراً منكم فسوف يريكم عاقبة مكره بكم وهي إذلالكم وخزيكم في الدنيا وعذابكم في الآخرة إن متم على كفركم وقوله ﴿إن رسلنا يكتبون ما تمكرون﴾ تقرير لما أعلمهم به من مكر الله تعالى بهم إذ كتابة الملائكة ما يمكرون دليل على تبييت الله تعالى لهم المكروه الذي يريد أن يجازيهم به على مكرهم.

هذا ما تضمنته الآية الأولى (٢١) أما الآية الثانية (٢٢) فهي تُري المشركين ضعفهم وعجزهم وحاجتهم إلى الله تعالى، ومن كان كذلك فكيف يستهزيء بربه ويسخر من آياته ويكذب رسوله إن أمرهم لعجب فيقول تعالى هو أي الله الذي تمكرون بآياته الذي يسيركم في البر بِما خلق لكم من الظهر الإبل والخيل والحمير، وفي البحر بما سخر لكم من الفلك تجري في البحر بأمره. حتى إذا كنتم في البحر وجرين[2] أي السفن بهم أي بالمشركين بريح طيبة مناسبة لسيرالسفن وفرحوا بها على عادة ركاب[3] البحر يفرحون بالريح المناسبة لسلامتهم من المَيَدَان[4] والقلق والاضطراب. جاءتها أي السفن ريح عاصف أي شديدة الهبوب تضطرب لها السفن ويخاف ركابها الغرق، وجاءهم أي الكفار الراكبين عليها الموج من كل مكان من جهات البحر والموج هو ارتفاع ماء البحر وتموجه كزوابع الغُبور في البر. وظنوا أي أيقنوا أو كادوا أنهم أحيط بهم أي هلكوا ﴿دعوا الله مخلصين

---

(١) قيل: إنّ أبا سفيان قال: قحطنا بدعائك فإن سقيتنا صدّقناك فسُقوا باستسقائه ﷺ فلم يؤمنوا وهذا من مكرهم.

(٢) وجرين بهم: فيه خروج من الخطاب إلى الغيبة وهو ضرب من الأساليب البلاغية وهو في القرآن كثير، وكذا في أشعار العرب قال النابغة:

يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد

ويقال له: التفات من كذا إلى كذا.

(٣) في الآية دليل على جواز ركوب البحر مطلقا، وشاهده من السنة حديث: (إنّا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء فقال: هو الطهور ماؤه الحل ميتته) وحديث أم حرام يدلّ على جواز ركوبه في الغزو.

(٤) الميدان: دوّار أو غشيان يصيب راكب البحر.

له الدين﴾ أي الدعاء يارب يارب[1] نجنا ويَعِدُونَه قائلين ﴿لئن انجيتنا من هذه﴾ أي الهلكة ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ لك أي المطيعين المعترفين بنعمتك علينا الموحدين لك بترك الآلهة لعبادتك وحدك لا شريك لك. فلما أنجاهم من تلك الشدة يفاجئونك ببغيهم في الأرض بغير الحق شركاً وكفراً وظلماً وفساداً فعادوا لما كانوا وإنهم لكاذبون وقوله تعالى ﴿يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا﴾ يخبرهم تعالى بقوله يا أيها الناس الباغون في الأرض بغير الحق في أي زمان كنتم وفي أي مكان وجدتم إنما بغيكم[2] أي عوائده عائدة على أنفسكم إذ هي التي تتأثم وتخبث في الدنيا وتفسد وتصبح أهلاً لعذاب الله يوم القيامة وقوله ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ أي ذلك متاع[3] الحياة الدنيا شقاء كان أو سعادة ﴿ثم إلينا مرجعكم﴾ أي لا إلى غيرنا وذلك بعد الموت يوم القيامة ﴿فننبئكم بما كنتم تعملون﴾ من خير وشر ونجزيكم به الجزاء العادل في دار الجزاء.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١- من مكر مكر الله به والله أسرع مكراً وأكبر أثراً وضرراً.

٢- بيان ضعف الإنسان وفقره إلى الله وحاجته إليه عز وجل في حفظ حياته وبقائه إلى أجله.

٣- إخلاص العبد الدعاء في حال الشدة آية أن التوحيد أصل والشرك طارىء.

٤- المشركون الأولون أحسن حالاً من جهلة هذه الأمة إذ يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة أما جهال المسلمين اليوم فشركهم دائم في الرخاء والشدة على السواء.

٥- بَغْيُ الإنسـان عائـد على نفسه كمكره ونكثه وفي الحديث ﴿ثلاث على أصحابها رواجع : البغي والمكر والنكث).

٦- تقرير مبدأ البعث والجزاء يوم القيامة.

---

(١) روي أنهم قالوا في دعائهم هذا يا حي يا قيوم.

(٢) مصداقه من الحديث الشريف : (ما من ذنب أحق أن يعجّل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر الله لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم).

(٣) المتاع : ما يتمتع به انتفاعاً غير دائم.

إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ
نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ
زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ
أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ
بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ
يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

شرح الكلمات :

مثل الحياة الدنيا : أي صفتها المنطبقة عليها المُتَّفِقة معها.

ماء : أي مطر.

فاختلط به(١) : أي بسببه نبات الأرض أي اشتبك بعضه ببعض.

مما يأكل الناس : كالبر وسائر الحبوب والفواكه والخضر.

والأنعام : أي من الكلأ والعشب عادة وإلا قد يعلف الحيوان الشعير.

زخرفها(٢) : أي نضرتها وبهجتها.

وازينت(٣) : أي تجملت بالزهور.

وظن أهلها أنهم قادرون عليها : أي متمكنون من تحصيل حاصلاتها الزراعية.

أتاها أمرنا : أي قضاؤنا بإهلاكها وتدميرها عقوبة لأصحابها.

حصيداً : أي كأنها محصودة بالمنجل ليس فيها شيء قائم.

---

(١) أي: اختلط النبات بالمطر أي: شرب منه فتندى وحسن واخضر والاختلاط هو: تداخل الشيء في الشيء.

(٢) الزخرف: اسم للذهب، ويطلق على كل ما يزيّن به مما فيه ذهب وتلوين من الثياب والحلي وأنواع الزينة.

(٣) ﴿وازينت﴾ أصلها: تزينت فقلبت التاء زايا وادغمت في الزاء لقرب مخرجيهما وجلبت همزة الوصل لأجل النطق بالساكن.

كأن لم تغن بالأمس[1] : أي كأن لم تكن موجودة غانية بالأمس.

نفصـل الآيــات : أي نبينهـا.

والله يدعو إلى دار السلام[2] : دار السـلام: الجنة والله يدعو إليها عباده ليأخذوا بالأهبة لدخولها وهي الإيمان والعمل الصالح وترك الشرك والمعاصي.

معنى الآيـتين:

ما زال السياق الكريم يعرض الهدايات الإلهية على الناس لعلهم يهتدون ففي هذه الآية يضرب تعالى[3] مثلا للحياة الدنيا التي يتكالب الغافلون عليها ويبيعون آخرتهم بها فيكذبون ويظلمون من أجلها إنما مثلها في نضارتها الغارة بها وجمالها الخادعة به كمثل ماء نزل من السماء فاختلط بالماء نبات الأرض فسقى به ونما وازدهر وأورَق وأثمر وفرح به أهله وغلب على ظنهم أنهم منتفعون به فائزون به وإذا بقضاء الله فيه تأتيه فجأة في ساعة من ليل أو نهار فإذا هو حصيد ليس فيه ما هو قائم على ساق، هشيم تذروه الرياح كأن لم لم يغْن بالأمس أي كأن لم يكن موجوداً أمس قائماً يعمُر مكانه أتاه أمر الله لأن أهله ظلموا فعاقبهم بجائحة أفسدت عليهم زرعهم فأمسوا يائسين حزينين. هذه الصورة المثالية للحياة الدنيا فهلا يتنبه الغافلون أمثالي !! أو هلا يستيقظ النائمون من حالهم كحالي ؟؟

وقـولـه تعالى في الآية الثانية (٢٥) ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾[4] أي بترك الشرك والمعـاصي والإقبال على الطاعات والصالحات ودار السلام الجنة إذ هي الخالية من الكدر والتنغيص فلا مرض ولا هرم، ولا موت ولا حزن. ودعاة الضلالة يدعون إلى الدنيا

(١) كأن لم تكن عامرة يقال غنيَ بالمكان إذا قام به وعمره والمغاني المنازل التي يعمرها الناس قال لبيد
وغنيت سبتاً قبل مجرى داحس لو كان للنفس اللجوج خلود.

(٢) وقيل المعنى والله يدعو إلى دار السلام إذ السلام والسلامة بمعنى كالرضاعة والرضاع ،قال الشاعر:
تحيي بالسلامة أم بكر وهل لك بعد قومك من سلام

(٣) المثل الصفة وعليه فصفة الحياة الدنيا المنطبقة عليها أنها في سرعة انقضائها وزوال نعيمها بعد البهجة والنضرة الحسنة كنبات أخضر وازدهر ثم يبس فصار هشيما تذروه الرياح.

(٤) روي أن النبي ﷺ خرج يوماً على أصحابه فقال رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلي فقال أحدهما لصاحبه: اضرب له مثلا فقال له اسمع سمعت أذناك واعقل عقل عقلك انما مثلك ومثل أمتك كمثل ملك اتخذ داراً ثم بنى فيها بيتاً ثم جعل فيها مأدبة ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعامه فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من تركه فالله الملك والدار الإسلام والبيت الجنة وأنت يا محمد الرسول فمن أجابك دخل في الإسلام ومن دخل في الإسلام دخل الجنة ثم تلا: ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ إلى قوله ﴿مستقيم﴾.

والتي صورتها ومآلها. أنها دار الكدر والتنغيص. والهم والحزن فأي الدعوتين تجاب؟ ﴿ويهـدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ فلتطلب هدايته بصدق فإنه لا يهدي إلا هو والصراط المستقيم هو الإسلام طريق الجنة وسُلّم الوصول إليها رزقنا الله تعالى السير فيه والثبات عليه.

هداية الآيـتين

من هداية الآيـتين:

١ـ بيان الصورة الحقيقية للحياة الدنيا في نضرتها وسرعة زوالها.

٢ـ التحذير من الاغترار بالدنيا والركون إليها.

٣ـ التحذير من الذنوب فإنها سبب الشقاء وسلب النعم.

٤ـ فضيلة التفكر وأهله.

٥ـ فضل الله على عباده ورحمته بهم إذ يدعوهم إلى داره لإكرامهم والإنعام عليهم.

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ(١) وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ
وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٦ وَٱلَّذِينَ
كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ
ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا
أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ
جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا
بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ٢٨ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ
شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ٢٩

(١) القول بأن الزيادة هما النظر إلى وجه الله الكريم هو قول أنس بن مالك وأبي بكر الصديق وعليّ بن أبي طالب وحذيفة وابن عباس وعامة الصحابة وروى مسلم أن النبي ﷺ قال إذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله تبارك وتعالى تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل.

﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ۝٣٠﴾

شـرح الكلمـات :

الحسنى وزيـادة : الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم.

ولا يرهق وجوههم : أي لا يغشى وجوههم.

قتـــر : غَبرة من الكآبة والحزن.

الســيآت : جمع سيئة ما يُسيء إلى النفس من ذنوب الشرك والمعاصي.

مكانكـــم : أي الزموا مكانكم لا تفارقوه.

فزيلنا بينهـم : فـرقنا بينهـم.

هنـــالك : أي ثَـــمَّ.

تبلو كل نفـس : أي تَختبـــر.

ما أســـلفت : أي ما قدمـــت.

وضل عنهم ما كانوا يفترون : أي غاب عنهم ما كانوا يكذبون.

معنى الآيـات :

بعد أن ذكر تعالى في الآية السابقة أنه يدعو إلى دار السلام ذكر جزاء من أجاب الدعوة ومن لم يجبها فقال للذين أحسنوا فآمنوا وعبدوا الله بما شرع ووحدوه تعالى في عبادته وربوبيته وأسمائه وصفاته فهؤلاء جزاؤهم الحسنى وهي الجنة وزيادة وهي النظر إلى وجهه الكريم في دار السلام، وأنهم إذا بعثوا لا يرهق[1] وجوههم قتر ولا ذلة كما يكون ذلك لمن لم يجب دعوة الله تعالى، وقرر جزاءهم ووضحه بقوله: ﴿أولئك أصحاب الجنة[2] هم فيها خالدون﴾ وذكر جزاء من أعرض عن الدعوة ورفضها فأصر على الكفر والشرك والعصيان

---

(١) الرهق: الغشيان، يقال رهقه يرهقه رهقاً: إذا غشيه من باب خرج.

(٢) اسم الإشارة عائد إلى الذين أحسنوا.

فقال ﴿والذين كسبوا السيآت جزاء سيئة بمثلها﴾ فالذين كسبوا سيآت الشرك[1] والمعاصي فأساء ذلك إلى نفوسهم فدساها وخبثها جزاؤهم جهنم وترهقهم ذلة في عرصات القيامة وليس لهم من الله من عاصم يعصمهم من عذاب الله . كأنما وجوههم لسوادها قد أغشيت قطعاً[2] من الليل مظلماً وقوله تعالى ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ تقرير لمصيرهم والعياذ بالله وهو ملازمة النار وعدم الخروج منها بخلودهم فيها .

هذا ما دلت عليه الآيتان الأولى (٢٦) والثانية (٢٧) أما الآيات الثالثة والرابعة والخامسة فإنها تضمنت عرضاً سريعاً لحشر الناس يوم القيامة، والمراد بذلك تقرير عقيدة الإيمان باليوم الآخر فقال تعالى : ﴿ويوم نحشرهم جميعاً[3]﴾ أي في عرصات القيامة ﴿ثم نقول للذين أشركوا﴾ أي بِنا آلهة عبدوها دوننا ﴿مكانكم﴾ أي قفوا لا تبرحوا مكانكم ﴿أنتم وشركاؤكم﴾، ثم يزايل الله تعالى أي يفرق بينهم وهو معنى قوله تعالى ﴿فزيلنا بينهم﴾ ولا شك أنهم يقولون ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين ندعو من دونك فلذا ذكر تعالى ردهم عليهم في قوله ﴿وقال شركاؤهم[4] ما كنتم إيانا تعبدون﴾ أي لأننا ما كنا نسمعكم ولا نبصركم ولا أمرناكم بعبادتنا وهذا قول كل من عُبد من دون الله من سائر الأجناس ﴿فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن كنا﴾ أي والله ﴿إن كنا عن عبادتكم لغافلين﴾ غير شاعرين بحال من الأحوال بعبادتكم. قال تعالى ﴿هنالك﴾ أي في ذلك الموقف الرهيب ﴿تبلو كل نفس ما أسلفت﴾ أي تَختبر ما قدمت في دنياها وتعرفه هل هو ضارٌ بها أو نافع لها ﴿وردوا إلى الله مولاهم[5] الحق[6] وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ هكذا يجدون أنفسهم أمام مولاهم ومالك

---

(١) ذكرنا في التفسير: كسبوا الشرك والمعاصي لأنّ الشرك هو الموجب للخلود في النار لا المعاصي، بدليل الحكم عليهم بالخلود في النار في آخر السياق.

(٢) جمع قطعة، وهي الجزء من الشيء فهي فعلة بمعنى مفعولة إذ هي مقطوعة من شيء كامل. والمظلم: الإظلام لا كواكب فيه ولا قمر.

(٣) أي: سعداء وأشقياء أهل الحسن وأهل الذلة، إذ الحشر يكون لسائر الخلائق لا يتخلف أحد من الخلق.

(٤) الشركاء: يكونون من الأصنام والأوثان والملائكة والإنس والجنّ والتبرؤ حاصل إذ ليس هناك من يقوى على الاعتراف بجريمة الشرك، أمّا الملائكة والأنبياء والصالحون فإنهم لم يكونوا راضين بعبادة المشركين لهم فتبرّؤهم صحيح، وأمّا الأصنام والأوثان فإنها لم تأمر بعبادتها وإنما الذي أمر بعبادتها الشياطين فتبرؤها صحيح.

(٥) مولاهم: الخالق، الرازق، المدبر لأمورهم وشؤون حياتهم والمستوجب لعبادتهم هو الله جل جلاله، فهو مولاهم الحق، لا الذي اختلقوه كذبا وعبدوه من دون الله فذاك مولىً باطل وإله مكذوب.

(٦) الحق: هو الموافق للواقع والصدق، فالمولوية الحقة لله تعالى لا لمخلوقاته، وكلها مخلوقة له مربوبة.

أمرهم ومعبودهم الحق والذي طالما كفروا به وتنكروا له وجحدوا آياته ورسله وضل[1] أي غاب عنهم ما كانوا يفترونه من الأكاذيب والترهات والأباطيل من تلك الأصنام التي سموها آلهة وعبدوها وندموا يوم لا ينفع الندم وجزاهم بما لم يكونوا يحتسبون.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ بيان فضل الحسنة وما تعقبه من نيل الحسنى.

٢ـ بيان سوء السيئة وما تورثه من حسرة وندامة وما توجبه من خسران.

٣ـ تقرير معتقد البعث والجزاء بعرض صادق واضح له.

٤ـ تبرؤ ما عُبد من دون الله من عابديه وسواء كان المعبود ملكاً أو إنساناً أو جاناً أو شجراً أو حجراً الكل يتبرأ من عابديه ويستشهد الله تعالى عليه.

٥ـ في عرصات القيامة تعلم كل نفس ما أحضرت، وما قدمت وأخرت وتبلو ما أسلفت فتعرف وأنى لها أن تنتفع بما تعرف؟.

قُلْ مَن يَرْزُقُكُم
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ
ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ
فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ
فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ
حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

شرح الكلمات :

من السماء : أي بالغيث والمطر.

والأرض : أي بالنبات والحبوب والثمار.

(١) ضلَّ: بمعنى ضاع وغاب ولم يجدوه ولم ينتفعوا به، فما كانوا يختلقونه من الآلهة الباطلة وما كانوا يقدّمونه لها من أنواع العبادات قد ضاع وغاب عنهم فلم يروه.

أمَّن يملك السمع والأبصار : أي يملك أسماعكم وأبصاركم إن شاء أبقاها لكم وإن شاء سلبها منكم.

ومن يخرج الحي من الميت : أي الجسم الحي من جسم ميت والعكس كذلك.

ومن يدبر الأمر : أي أمر الخلائق كلها بالحياة والموت والصحة والمرض والعطاء والمنع.

أفلا تتقون : أي الله فلا تشركوا به شيئاً ولا تعصوه في أمره ونهيه.

فأنى تصرفون : أي كيف تصرفون عن الحق بعد معرفته والحق هو أنه لا إله إلا الله.

حقت : أي وجبت.

أنهم لا يؤمنون : وذلك لبلوغهم حداً لا يتمكنون معه من التوبة البتة.

معنى الآيات :

ما زال السياق في تقرير عقيدة التوحيد فيقول تعالى لرسوله ﴿قل﴾ يا رسولنا لأولئك المشركين مستفهما إياهم ﴿من يرزقكم من السماء والأرض﴾ بإنزال المطر وبانبات الحبوبوالثماروالفواكه والخضر التي ترزقونها، وقل لهم ﴿أم من يملك السمع والأبصار﴾ أي أسماعكم وأبصاركم بحيث إن شاء أباقاها لكم وأمتعكم بها، وإن شاء أخذها منكم وسلبكم إياها فأنتم عمي لا تبصرون وصم لاتسمعون ﴿ومن يخرج الحي من الميت﴾ كالفرخ من البيضة ﴿ويخرج الميت من الحي﴾ كالبيضة من الدجاجة، والنخلة من النواة، والنواة من[1] النخلة. ﴿ومن يدبر الأمر﴾ في السماء والأرض كتعاقب الليل والنهار ونزول الأمطار، وكالحياة والموت والغنى والفقر والحرب والسلم والصحة والمرض إلى غير ذلك مما هو من مظاهر التدبير الإلهي في الكون. ﴿فسيقولون الله﴾، إذ لا جواب لهم إلا هذا إذاً فما دام الله هو الذي يفعل هذا ويقدر عليه دون غيره كيف لا يُتَّقى عز وجل بتوحيده وعدم الإشراك به، فلم لا تتقونه؟[2]

---

(١) وكالنطفة من الإنسان، والإنسان من النطفة، ومثلها نطفة الحيوان مخرجها من حيوان حي، ومن الحيوان الحي تخرج نطفة ميتة.

(٢) أي: فقل لهم يا رسولنا: أفلا تتقون: أي: أفلا تخافون عقابه ونقمه في الدنيا والآخرة.

وقوله تعالى ﴿فذلكم الله ربكم الحق﴾[1] أي فذلكم الذي يرزقكم من السماء والأرض ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويدبر الأمر هو ربكم[2] الحق الذي لا رب لكم سواه إذاً ﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال،[3] فأنى تصرفون﴾ أي كيف يصرفون عن الحق بعد معرفته إلى الضلال؟ إنه أمر يدعو إلى الاستغراب والتعجب!

وقوله تعالى ﴿كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون﴾ أي مثل ذلك الصرف الذي يصرفه المشركون عن الحق بعد معرفته إلى الضلال أي كما حق ذلك حقت كلمة ربك وهي أن الله لا يهدي القوم الفاسقين فهم لا يهتدون، وذلك أن العبد إذا توغل في الشر والفساد بالإدمان والاستمرار عليه يبلغ حداً لا يتأتّى له الرجوع منه والخروج بحال فهلك على فسقه لتحق عليه كلمة العذاب وهي ﴿لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين﴾.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ مشركوا العرب كانوا يشركون في الألوهية ويوحدون في الربوبية.

٢ـ وليس بنافع أن يوحد العبد في الربوبية ويشرك في الألوهية.

٣ـ ليس بعد الحق[4] إلا الضلال فلا واسطة بينهما فمن لم يكن على حق فهو على ضلال.

٤ـ التوغل في الشر والفساد يصبح طبعاً لصاحبه فلا يخرج منه حتى يهلك به.

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن

---

(١) في الصحيح من دعاء الرسول ﷺ إذا قام من جوف الليل يقول (اللهم أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق..) في حديث طويل هذا من وسطه، والشاهد في قوله: (أنت الحق).

(٢) أي: إلهكم ومعبودكم الحق لا ما تعبدون من أصنام وأوثان فإذا عرفتم إلهكم الحق فإنّ ما بعده من آلهة هو الضلال.

(٣) روي عن مالك في قوله تعالى: ﴿فماذا بعد الحق إلاّ الضلال﴾ قال: اللعب بالشطرنج والنرد: هو الضلال، وسئل عن الغناء فقال: هل هو حق؟ قالوا: لا. قال فما بعد الحق إلاّ الضلال. وفي صحيح مسلم: (من لعب بالنرد شير فكأنّما غمس يده في لحم خنزير ودمه).

(٤) روي عن عمر رضي الله عنه أنه رَخّص فيما كان فيه دربة على الحرب من أنواع اللعب، إذ الغرض صحيح، وهو تعلم فنون الحرب، وحذق أساليبها.

يَتَّبِعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٥﴾
وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ
عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾

شرح الكلمات :

من شركائكم[1] : جمع شريك وهو من أشركوه في عبادة الله تعالى .

من يبدأ الخلق : أي ينشيء الإنسان والحيوان أول ما ينشئه فذلك بدء خلقه .

فأنى تؤفكون : أي كيف تصرفون عن الحق بعد معرفته .

أمَّن لا يَهِدِّي : أي لا يهتدي .

كيف تحكمون : أي هذا الحكم الفاسد وهو اتباع من لا يصح اتباعه لأنه لا يهدي .

معنى الآيات :

ما زال السياق في حجاج المشركين لبيان الحق لهم ودعوتهم إلى اتباعه فيقول تعالى لرسوله ﷺ قل لهؤلاء المشركين ﴿قل هل من شركائكم[2] من يبدأ الخلق ثم يعيده؟﴾ أي هل يوجد من بين آلهتكم التي تعبدونها من يبدأ خلق إنسان من العدم ثم يميته، ثم يعيده؟ وجوابهم معروف وهو لا يوجد إذاً فكيف تؤفكون أي تصرفون عن الحق بعد معرفته والإقرار به؟ وقل لهم أيضاً ﴿قل هل[3] من شركائكم من يهدي إلى الحق﴾ أي يوجد من آلهتكم من يهدي إلى الحق؟ والجواب لا يوجد لأنها لا تتكلم ولا تعلم إذاً فقل لهم الله يهدي إلى الحق أي بواسطة نبيه ووحيه وآياته .

وقل لهم ﴿أفمن يهدي إلى[4] الحق أحق أن يتبع أمَّن لا يهدي إلا أن يهدى﴾[5] والجواب معروف الذي يهدي إلى الحق أحق بأن يتبع ممن لا يهتدي إلا أن يُهدى، إذاً لم لا تتقون

---

(١) أي : آلهتكم ومعبوداتكم من الأصنام والأوثان .

(٢) يقول لهم : (هل) على جهة التوبيخ والتقرير، فإن أجابوك فذاك وإلاّ فقل الله يبدأ الخلق .

(٣) هذا الاستفهام كالأول للتوبيخ والتقرير فإن أجابوا فذاك المطلوب وإن لم يجيبوا فأجب أنت بقولك : الله يبدأ الخلق .

(٤) هذا الاستفهام كسابقيه للتوبيخ والتقرير ثم إقامة الحجة .

(٥) في : ﴿أمَّن لا يهدي﴾ قراءات منها : (لا يهدي)، بالتخفيف . (لا يَهدِّي) بتشديد الدال، وفتح الهاء وهي قراءة ورش، و(لا يَهِدِّي) بكسر الهاء، وتشديد الدال وهي قراءة حفص .

الله فتوحدوه وتؤمنوا برسوله وكتابه فتهتدوا، وتتركوا آلهتكم التي لا تهدي إلى الحق؟ ﴿فما لكم﴾ أي أيّ شيء ثبت لديكم في ترك عبادة الله لعبادة غيره من هذه الأوثان، ﴿كيف تحكمون﴾ أي حكم هذا تحكمون به وهو اتباع من لا يهدي وترك عبادة من يهدي إلى الحق. وقوله تعالى ﴿وما يتبع أكثرهم إلا ظناً﴾[1] أي أن أكثر هؤلاء المشركين لا يتبعون في عبادة أصنامهم إلا الظن فلا يقين عندهم في أنها حقاً آلهة تستحق العبادة، ﴿إن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾ أي إن الظن لا يكفي عن العلم ولا يغني عنه أي شيء من الإغناء، والمطلوب في العقيدة العلم لا الظن.[2] وقوله تعالى ﴿إن الله عليم بما يفعلون﴾ هذه الجملة تحمل الوعيد الشديد لهم على إصرارهم على الباطل وعنادهم على الحق فسيجزيهم بذلك الجزاء المناسب لظلمهم وعنادهم.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ تقرير التوحيد بإبطال الآلهة المزعومة حيث اعترف عابدوها بأنها لا تبدأ خلقاً ولا تعيده بعد موته، ولا تهدي إلى الحق، والله يبدأ الخلق ثم يعيده ويهدي إلى الحق.

٢ـ إبطال الأحكام الفاسدة وعدم إقرارها ووجوب تصحيحها.

٣ـ لا يقبل الظن في العقائد بل لا بد من العلم اليقيني فيها.

٤ـ كراهية القول بالظن والعمل به وفي الحديث (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث).

وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ
ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ
فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ

---

(١) في الآية دليل على أن عابدي غير الله تعالى ليسوا سواء في الاعتقاد الباعث لهم على عبادتها بل أكثرهم لا يتبعون في عبادتها إلا مجرّد الظن، والبعض الآخر القليل لا اعتقاد لهم إلا اتباع غيرهم وتقليد سواهم من رؤسائهم، وأهل الكلمة فيهم، فكلا الفريقين هالك.

(٢) الظن يطلق على مراتب الإدراك، فيطلق على الاعتقاد الجازم الذي لا شك فيه كقوله تعالى: ﴿إني ظننت أني ملاق حسابيه﴾ ويطلق على الاعتقاد المشكوك فيه كقول قوم نوح لنوح: ﴿وإنا لنظنّك من الكاذبين﴾ ويطلق على الاعتقاد المخطىء كآية: ﴿إنّ بعض الظن إثم﴾ وحديث: (فإن الظن أكذب الحديث).

مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾
بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾

شرح الكلمات :

أن يفترى من دون الله : أي افتراءً أي لم يكن هذا القرآن افتراء.

وتفصيل الكتاب : أي بيان ما فرض الله تعالى على هذه الأمة وما أحل لها وما حرم.

أم يقولون افتراه : أي اختلقه من نفسه وَتَقَوَّلَهُ من عنده.

بما لم يحيطوا بعلمه : أي بما توعدهم الله تعالى به من العذاب.

ولما يأتهم تأويله : أي ولما يأتهم بعد ما يؤول إليه ذلك الوعيد من العذاب.

كذلك كذب الذين من قبلهم : أي كتكذيب هؤلاء بوعد الله لهم كذب الذين من قبلهم.

معنى الآيـات :

هذه الآيات في تقرير عقيدة الوحي وإثبات نبوة الرسول ﷺ قال تعالى: ﴿وما كان هذا القرآن﴾[1] أي لم يكن من شأن هذا القرآن العظيم ﴿أن يفترى من دون الله﴾ أي يُختلق من غير الله تعالى من سائر خلقه، ﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾[2] أي ولكنه كلام الله ووحيه أوحاه إلى رسوله وأنزله تصديق الذي بين يديه أي من الكتب التي سبقت نزوله وهي التوراة والإنجيل ﴿وتفصيل الكتاب﴾ الذي كتبه الله تعالى على أمة الإسلام من الفرائض والشرائع والأحكام. وقوله تعالى ﴿لا ريب فيه﴾ أي لا شك في أنه وحي الله وكلامه نزل من رب العالمين، وهو الله مربي الخلائق أجساماً وعقولاً وأخلاقاً وأرواحاً ومن مقتضى ربوبيته إنزال كتاب فيه تبيان كل شيء يحتاج إليه العبد في تربيته وكماله البدني والروحي والعقلي والخلقي.

---

(١) علم الله تعالى أنّ غيره تعالى لا يتأتى له الإتيان بمثل هذا القرآن كما قال تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾.

(٢) أي: أنزله مصدقاً لما بين يديه أي: لما تقدمه من الكتب الإلهية. هذا كقوله تعالى: ﴿نزّل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه﴾. ونصب (تصديق) على أنه اسم كان، والتقدير: ولكن كان تصديق الذي

وقوله تعالى في الآية الثانية (٣٨) ﴿أم يقولون افتراه﴾[١] أي بل يقول هؤلاء المشركون المجاحدون وهو قول في غاية السُّخْف والقباحة يقولون القرآن افتراه محمد ولم يكن بوحي أُنزل عليه، قل يا رسولنا متحدياً إياهم أن يأتوا بسورة مثله[٢]. فإنهم لا يستطيعون وبذلك تبطل دعواهم، وقل لهم ادعوا لمعونتكم على الإتيان بسورة مثل سور القرآن من استطعتم الحصول على معونتهم إن كنتم صادقين في دعواكم أن القرآن لم يكن وحياً من الله، وإنما هو اختلاق اختلقه محمد رسول الله ﷺ. وقوله تعالى ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه[٣] ولما يأتهم تأويله﴾ أي إن القضية ليست قضية أنهم ما استطاعوا أن يدركوا أن القرآن كلام الله، وإنما القضية هي أنهم كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه من وعيد الله تعالى لهم بالعذاب، ولما يأتهم بعد ما يؤول إليه الوعيد إذ لو رأوا العذاب ما كذبوا، ولذا قال تعالى ﴿كذلك كذب الذين من قبلهم﴾ أي ﴿حتى ذاقوا بأسنا﴾ كما في آية الأنعام. وهنا قال تعالى ﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ فقد أهلك تعالى الظلمة من قوم نوح بالغرق ومن قوم هود بريح صرصر ومن قوم صالح بالصيحة ومن قوم شعيب بالرجفة ومن أمم أخرى بما شاء من أنواع العذاب فهؤلاء إن لم يتوبوا واستمروا في تكذيبهم فسوف يحل بهم ما حل بغيرهم ﴿وما الله بغافل عما يعمل الظالمون﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ تقرير عقيدة الوحي وإثبات نبوة محمد ﷺ.

٢ـ من أدلة أن القرآن كلام الله تصديقه للكتب السالفة وعدم التناقض معها إذ هما من مصدر واحد وهو الله رب العالمين.

٣ـ من أدلة القرآن على أنه وحي الله تحدى الله العرب بالإتيان بسورة واحدة في فصاحته

---

(١) ﴿أم يقولون﴾ أم هنا: هي المنقطعة التي تفسّر ببل، والهمزة. أي: بل أيقول افتراه، والاستفهام هنا للتقريع والتوبيخ.

(٢) هذا دليل على أن القرآن الكريم معجز، وهو كذلك معجز بألفاظه ومعانيه معاً.

(٣) (بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله). هذا الكلام الإلهي يحتمل معنيين صحيحين. الأول: هو ما في التفسير، والثاني: المراد بما لم يحيطوا بعلمه: القرآن الكريم، فهم لم يتدبروه، ولم يفهموا ما يدعو إليه وكذبوا به عن جهل مع العناد والمكابرة فما في قوله: ﴿بما لم يحيطوا بعلمه﴾ اسم موصول المراد به: القرآن الكريم أمّا على المعنى الأول فإن المراد به العذاب الذي كذّبوا به، ولم يحل بهم بعد.

وبلاغته وإعجازه وعجزهم عن ذلك.

٤ـ استمرار المشركين في العناد والمجاحدة علته أنهم لم يذوقوا ما توعدهم الله به من العذاب إذ لو ذاقوا لآمنوا ولكن لا ينفعهم حينئذ الإيمان.

وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ
بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ
أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن
يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾
وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟
لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ
ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾

شـرح الكلـمات :

ومنهم من يؤمن به : أي من أهل مكة المكذبين بالقرآن من يؤمن به مستقبلاً.

وربـك أعلـم بالمفسدين : وهم دعاة الضلالة الذين يفسدون العقول والقلوب والجملة تهديد لهم.

وإن كذبـوك : أي استمروا على تكذيبك.

ومنهم من يستمعون إليك : أي إذا قرأت القرآن.

ومنهم من ينظر إليك : أي يبصر ويشاهد آيات النبوة وأعلام صدقك، ولا يهتدي إلى معرفة أنك رسول الله لأن الله تعالى حرمه ذلك.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في تقرير نبوة النبي ﷺ قال تعالى في خطاب رسوله ليُسلّيه ويصبّره على عدم إيمان قومه مع ظهور الأدلة وقوة البراهين ﴿ومنهم من يؤمن به﴾ أي بالقرآن وبالنبي

أيضاً إذْ الإيمان بواحد يستلزم الإيمان بالثاني، ﴿ومنهم من لا يؤمن به﴾[1] وهذا إخبار غيب فتم كمـا أخبر تعالى فقد آمن من المشركين عدد كبير ولم يؤمن عدد آخر. وقوله ﴿وربـك أعلم بالمفسـدين﴾ أي الـذين لا يؤمنـون وفي الجملة تهديد لأولئك الذين يصـرفـون النـاس ويصدونهم عن الإيمان والتوحيد. وقوله تعالى: ﴿وإن كذبوك﴾ أي استمروا في تكذيبهم لك فلا تحفل بهم وقل ﴿لي عملي[2] ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل، وأنا بريء مما تعملون﴾ فإذا كان هناك عقاب دنيوي فإنك تسلم منه ويهلكون هم به.

وقوله تعالى في الآية (٤٢) ﴿ومنهم من يستمعون إليك﴾[3] إلى قراءتك القرآن وإلى قولك إذا قلت داعياً أو آمراً أو ناهياً، ومع هذا فلا يفهم ولا ينتفع بما يسمع، ولا لوم عليك في ذلك لأنك لا تسمع الصم، وهؤلاء صم لا يسمعون، ومنهم من ينظر إليك بأعين مفتحة ويرى علامات النبوة وآيات الرسالة ظاهرةً في حالك ومقالك ومع هذا لا يهتدي ولا لوم عليك فإنك لا تهدي العمى ولو كانوا لا يبصرون.[4] وقوله تعالى ﴿إن الله لا يظلم الناس شيئاً، ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾ بيان لسنة الله تعالى في أولئك الذين يسمعون ولا ينتفعون بسماعهم، ويبصرون ولا ينتفعون بما يبصرون، وهي أن من توغل في البغض والكراهية لشيء يصبح غير قادر على الانتفاع بما يسمع منه ولا بما يبصر فيه. ولذا قيل حبك الشيء يُعمي ويُصم، والبغض كذلك كما أن الاسترسال في الشر والفساد مدة من الزمن يحرم صاحبه التوبة إلى الخير والصلاح، ومن هنا قال تعالى ﴿إن الله لا يظلم[5] الناس شيئاً، ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ إخبار القرآن بالغيب وصدقه في ذلك.

٢ـ تقرير معنى آية ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾.

---

(١) كأبي طالب وأبي لهب وأبي جهل وغيرهم

(٢) أي لي ثواب عملي على التبليغ والطاعة لله تعالى ولكم جزاء عملكم الذي هو الشرك والكفر والتكذيب.

(٣) أي: في ظواهرهم أمّا قلوبهم فلا تعي شيئا مما تقول من الحق وتتلوه من القرآن.

(٤) أي: ولو انضمّ إلى عدم البصر عدم البصيرة.

(٥) في هذا إشارة إلى أنّ عدم هدايتهم لم يكن خارجاً عن إرادتهم ولكن كان باستحبابهم العمى على الهدى وإيثارهم للدنيا على الآخرة.

٣ـ تعليم رسول الله طريق الحِجاج والرد على الخصوم المشركين.

٤ـ انتفاء الظلم عن الله تعالى، وإثباته للإنسان لنفسه.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا
سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ
وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ
فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ
أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾

شـرح الكلـمات :

يحشــرهم : أي نبعثهم من قبورهم ونجمعهم لساحة فصل القضاء.

كأن لم يلبثوا : أي في الدنيا أحياء في دورهم وأمواتاً في قبورهم.

أو نتوفينك : أي نميتك قبل ذلك.

فإذا جاء رسولهم : أي في عرصات القيامة.

بالقســط : أي بالعــدل.

متى هذا الوعد : أي بالعذاب يوم القيامة.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في تقرير عقيدة البعث والجزاء فقال تعالى ﴿ويوم يحشرهم﴾ أي اذكر لهم يوم نحشرهم من قبورهم بعد بعثهم أحياء ﴿كأن لم يلبثوا﴾[1] في الدنيا أحياء في دورهم وأمواتاً في قبورهم. ﴿إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم﴾[2] أي ليرى بعضهم بعضاً

---

(١) أصلها: كأنهم ثم خففت: أي كأنهم لم يلبثوا في قبورهم.

(٢) الجملة في موضع نصب على الحال. وتعارفهم هذا في عرصات القيامة إنما هو تعارف توبيخ وافتضاح فيقول بعضهم لبعض: أنت أضللتني وحملتني على الكفر، ثم تنقطع المعرفة عند معاينتهم العذاب يوم القيامة.

ساعة ثم يحول بينهم هول الموقف، وقوله تعالى ﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله[1] وما كانوا مهتدين﴾ يخبر تعالى أن الذين كذبوا بالبعث الآخر والحساب والجزاء الأخروي فلم يرجوا لقاء الله فيعملوا بمحابه وترك مساخطه قد خسروا في ذلك اليوم أنفسهم وأهليهم في جهنم، وقوله ﴿وما كانوا مهتدين﴾ أي في حياتهم حيث انتهوا إلى خسران وعذاب أليم.

وقوله تعالى ﴿وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك[2]﴾ أي إن أريناك بعض الذي نعدهم من العذاب في الدنيا فذاك، أو نتوفينك قبل ذلك فعلى كل حال مرجعهم إلينا جميعاً بعد موتهم، فنحاسبهم ونجازيهم بحسب سلوكهم في الدنيا الخير بالخير والشر بمثله، وقوله تعالى ﴿ثم الله شهيد على ما يفعلون[3]﴾ تقرير وتأكيد لمجازاتهم يوم القيامة لأن علم الله تعالى بأعمالهم وشهادته عليها كافٍ في وجوب تعذيبهم. وقوله تعالى ﴿ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾ أي ولكل أمة من الأمم رسول أرسل إليها وبلغها فأطاع من أطاع وعصى من عصى فإذا جاء رسولها في عرصات القيامة قضي بينهم أي حوسبوا أو جوزوا بالقسط أي بالعدل وهم لا يظلمون بنقص حسنات المحسنين ولا بزيادة سيئات المسيئين. وقوله تعالى ﴿ويقولون﴾ أي المشركون للرسول ﷺ وأصحابه، ﴿متى هذا الوعد[4]﴾ أي بالعذاب يوم القيامة. ﴿إن كنتم صادقين﴾ يقولون هذا استعجالاً للعذاب لأنهم لا يؤمنون به. والجواب في الآية التالية.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١- تقرير مبدأ المعاد والدار الآخرة.

٢- الإعلان عن خسران منكري البعث يوم القيامة.

---

(١) أي: يوم العرض عليه بين الخلائق.

(٢) وإما أصلها إن الشرطية وما الزائدة لتقوية الكلام و﴿بعض الذي نعدهم﴾ هو عذاب الدنيا كما هو إظهار الدين ونصرته ﷺ.

(٣) أي: بعد وفاتك، فالله عزّ وجل خليفتك فيهم وسوف يجزيهم بحسب كسبهم خيراً وشراً.

(٤) أي: متى العذاب، أو متى القيامة التي يعدنا بها محمد ﷺ.

٣ـ تسلية الرسول ﷺ وحمله على الصبر حتى يؤدي رسالته بإعلامه بأنه سيعذب أعداءه.

٤ـ بيان كيفية الحساب يوم القيامة بأن يأتي الرسول وأمته ثم يجري الحساب بينهم فينجي الله المؤمنين ويعذب الكافرين.

قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ
أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٤٩﴾
قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوۡ نَهَارٗا مَّاذَا يَسۡتَعۡجِلُ مِنۡهُ
ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ
تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ
هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ
أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٥٣﴾

شرح الكلمات :

لنفسي ضراً : أي لا أقدر على دفع الضر إذا لم يُعِنِّي الله تعالى.

ولا نفعاً : أي لا أقدر على أن أجلب لنفسي نفعاً إذا لم يُرده الله تعالى لي.

لكل أمة أجل : أي وقت معين لهلاكها.

فلا يستأخرون ساعة : أي عن ذلك الأجل.

ولا يستقدمون : أي عليه ساعة.

قل أرأيتم : أي قل لهم أخبروني.

أثم إذا ما وقع : أي حل العذاب.

عذاب الخلد : أي الذي يخلدون فيه فلا يخرجون منه.

ويستنبئونك : أي ويستخبرونك.

قل إي : أي نعم.

وما أنتم بمعجزين : أي بفائتين العذاب ولا ناجين منه.

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في الرد على المشركين فقد طالبوا في الآيات السابقة بالعذاب فقالوا ﴿متى هذا الوعد﴾ أي بالعذاب ﴿إن كنتم صادقين﴾ فأمر الله تعالى رسوله في هذه الآيات أن يقول لهم إني ﴿لا أملك لنفسي ضراً﴾ أي لا أملك دفع الضر عني، ولا جلب النفع لي إذا لم يشأ الله تعالى ذلك، فكيف أعلم الغيب وأعرف متى يأتيكم العذاب كما لا أقدر على تعجيله إن كان الله يريد تأجيله، واعلموا أنه لكل أمة من الأمم أجل أي وقت محدد لهلاكها وموتها فيه، فلا يتأخرون عنه ساعة ولا يتقدمون عليه بأخرى فلذا لا معنى لمطالبتكم بالعذاب. وشيء آخر أرأيتم أي أخبروني إن أتاكم العذاب الذي تستعجلونه بياتاً[1] أي ليلاً أو نهاراً أتطيقونه وتقدرون على تحمله إذاً فماذا تستعجلون منه أيها المجرمون[2] إنكم تستعجلون أمراً عظيماً. وقوله تعالى ﴿أثم[3] إذا ما وقع آمنتم به؟﴾ أي اتستمرون على التكذيب والعناد، ثم إذا وقع آمنتم به، وهل ينفعكم إيمانكم يومئذ؟ فقد يقال لكم توبيخاً وتقريعاً آلآن تؤمنون به، وقد كنتم به تستعجلون.

وقوله تعالى ﴿ثم[4] قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون﴾؟ يخبر تعالى أنه إذا دخل المجرمون النار وهم الذين ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي ذوقوا - تهكماً بهم - عذاب الخلد أي العذاب الخالد الذي لا يفني ولا يبيد إنكم ما تجزون أي ما تثابون إلا بما كنتم تكسبونه من الشرك والمعاصي. وقوله تعالى: ﴿ويستنبؤنك أحق هو؟﴾ أي ويستخبرك المشركون المعاندون قائلين لك أحق ما تعدنا به من العذاب يوم القيامة؟ أجبهم بقولك ﴿قل إي وربي[5] إنه لحق، وما أنتم بمعجزين﴾ الله ولا فائتينه بل لا بد وأن يلجئكم إلى العذاب إلجاءً، ويذيقكموه عذاباً أليماً دائماً وأنتم صاغرون.

---

(١) البيات: اسم مصدر ليلا كالسلام للتسليم.

(٢) المجرمون: أصحاب الجرم الذي هو الشرك والقائلون متىٰ هذا الوعد من كفار مكة.

(٣) ﴿أثم﴾ الهمزة للاستفهام وقدمت على ثم العاطفة، لأنّ لها حق الصدارة والتقدير: ثم إذا وقع، والمستفهم عنه هو حصول الإيمان في وقت وقوع العذاب، وهو غير نافع لصاحبه فكيف ترضونه أنتم لأنفسكم.

(٤) ﴿ثم﴾: حرف عطف، وهي هنا للتراخي الرتبي فهذا يقال للمشركين عند دخولهم النار وهو من باب التهكم بهم والتقريع لهم، وإعلامهم بمالا يستطيعون دفعه بحال: ﴿هل تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ والقائلون هم خزنة جهنم.

(٥) ﴿أي﴾: كلمة تحقيق وايجاب، وتأكيد هي بمعنى ﴿نعم﴾﴿وربي﴾ قسم جوابه: ﴿إنه لحق﴾ أي: هو كائن لا شك فيه ولا محالة من وقوعه.

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ لا يملك أحد من الخلق لنفسه فضلاً عن غيره ضراً يدفعه ولا نفعاً يجلبه إلا بإذن الله تعالى ومشيئته، وخاب الذين يُعولون على الأولياء في جلب النفع لهم ودفع الشر عنهم.

٢ـ الآجال محدودة لا تتقدم ولا تتأخر فلذا لا معنى للجبن من العبد.

٣ـ لا ينفع الإيمان ولا التوبة عند معاينة العذاب أو مَلَك الموت.

٤ـ جواز الحلف بالله إذا أ ريد تأكيد الخبر.

٥ـ إي حرف إجابة وتقترن دائماً بالقسم نحو إي والله، إي وربي.

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟
ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ
وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ
﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا
يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾

شرح الكلمات :

لافتدت بـه : لقدمته فداء لها.

وأسروا الندامة : أخفوها في أنفسهم على ترك الإيمان والعمل الصالح.

وقضي بينهم بالقسط : أي حكم الله بينهم بالعدل.

وعد الله حق : أي ما يعدهم الله به هو كائن حقاً.

موعظة من ربكم : أي وصية من ربكم بالحق والخير، وباجتناب الشرك والشر.

وهـــدى : أي بيان لطريق الحق والخير من طريق الباطل والشر.

فضل الله ورحمته : ما هداهم إليه من الإيمان والعمل الصالح ، واجتناب الشرك والمعاصي .

فبذلك فليفرحوا : أي فبالإيمان والعمل الصالح بعد العلم والتقوى فليسروا وليستبشروا .

هو خير مما يجمعون : أي من المال والحطام الفاني .

معنى الآيـات :

مازال السياق في بيان أن ما وعد الله تعالى به المشركين من العذاب هو آت لا محالة إن لم يؤمنوا وإنه عذاب لا يطاق فقال تعالى ﴿ولو أن لكل نفس ظلمت﴾ أي نفسها بالشرك والمعاصي ، لو أن لها ما في الأرض من مال صامت وناطق وقبل منها[١] لقدمته فداء لها من العذاب ، وذلك لشدة العذاب . وقال تعالى عن الكافرين وهم في عرصات القيامة وقد رأوا النار ﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب﴾[٢] أي أخفوها في صدورهم ولم ينطقوا بها وهي ندمهم الشديد على عدم إيمانهم واتباعهم للرسول ﷺ وقوله تعالى ﴿وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمـون﴾ أي وقضى الله تعـالى أي حكم بين الموحدين والمشركين والـظالمين والمـظلومين[٣] بالقسط الـذي هو العدل الإلهي والحال أنهم لا يظلمون بأن يؤاخذوا بما لم يكتسبوا . وقوله تعالى ﴿ألا إنّ[٤] لله ما في السموات والأرض﴾ أي انتبهوا واسمعوا أيها المشركون إن لله ما في السموات والأرض من سائر المخلوقات ملكاً حقيقياً لا يملك معه أحد شيئا من ذلك فهو يتصرف في ملكه كما يشاء يعذب ويرحم يشقي ويسعد لا اعتراض عليه ألا أن وعد الله حق أي تنبهوا مرة أخرى واسمعوا إن وعد الله أي ما وعدكم به من العذاب حق ثابت لا يتخلف . وقوله تعالى : ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾

---

(١) ولكن لا يقبل منها كما قال تعالى : ﴿إنّ الذين كفروا وماتوا وهم كفّار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به﴾ .

(٢) إسرارهم الندامة كان عند معاينة العذاب ، وقبل الدخول فيه ، والندامة : الحسرة على وقوع مكروه أو فوات محبوب .

(٣) وبين الرؤساء والمرؤوسين ، أي : بين المتبوعين والتابعين لهم .

(٤) ﴿ألا﴾ : كلمة استفتاح وتنبيه يؤتى بها في أوّل الكلام ، معناها : انتبهوا لما أقول لكم .

إذ لو علموا أن العذاب كائن لا محالة وعلموا مقدار هذا العذاب ما كفروا به وقوله تعالى ﴿هو يحي ويميت وإليه ترجعون﴾ يخبر تعالى عن نفسه أنه يحيي ويميت ومن كان قادراً على الإحياء والإمـاتـة فهو قادر على كل شيء، ومن ذلك إحياء الكافرين بعد موتهم وحشرهم إليه ومجازاتهم على ما كسبوا من شر وفساد وقوله ﴿وإليه ترجعون﴾ تقرير مبدأ المعاد الآخر. بعد هذه التقريرات لقضايا العقيدة الثلاث: التوحيد، والنبوة، والبعث والجزاء نادى الله تعالى العرب والعجم سواء قائلاً ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة[1] من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾ وكل من الموعظة التي هي الأمر والنهي بأسلوب الترغيب والترهيب والشفاء والهدى والرحمة قد حواها القرآن الكريم كأنه قال يا أيها الناس وفيكم الجاهل والفاسق والمريض بالشرك والكفر والضال عن الحق، والمعذب في جسمه ونفسه قد جاءكم القرآن يحمل كل ذلك لكم فآمنوا به واتبعوا النور الـذي يحمله وتـداووا به واهتـدوا بنوره تشفوا وتكملوا عقلاً وخلقاً وروحاً وتسعدوا في الحياتين معاً.

وقـوله تعالى ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك[2] فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾ أي بلِّغهم يا رسولنا آمراً إياهم بأن يفرحوا[3] بالإسلام وشرائعه والقرآن وعلومه فإن ذلك خير مما يجمعون من حطام الدنيا الفاني، وما يعقب من آثار سيئة لا تحتمل ولا تطاق.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ عظم عذاب يوم القيامة حتى إن الكافر ليود أن يفتدى منه بما في الأرض جميعاً.

٢ـ تقرير ربوبية الله تعالى لسائر المخلوقات في العالمين العلوي والسفلي.

٣ـ الإشادة بفضل القرآن وعظمته لما يحمله من المواعظ والهدى والرحمة والشفاء.

٤ـ يستحب الفرح بالدين ويكره الفرح بالدنيا.

---

(١) المراد بالموعظة وما بعدها من الصفات القرآن الكريم إذ هو الجامع لكل ما ذكر، وإنّما عطفت المذكورات لتأكيد المدح. كقول الشاعر:

إلى الملك القرم وابن الهمام   وليث الكتيبة في المزدحم

(٢) قال أبو سعيد الخدري وابن عباس: فضل الله: القرآن، ورحمته الإسلام، وصحّت الإشارة بذلك إلى الاثنين لأنّ العرب تشير بذلك إلى المفرد والمثنى والجمع.

(٣) روي أن من هداه الله للإسلام وعلمه القران ثم شكا الفاقة (الفقر) كتب الله الفقر بين عينيه إلى يوم يلقاه ثم تلا: ﴿قل بفضل الله﴾ الآية.

قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ
فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ
تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ
وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ
فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي
ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾

شرح الكلمات :

أرأيتم : أي أخبروني .

ما أنزل الله لكم من رزق : أي الذي خلق لكم من رزق كلحوم الأنعام .

ءآلله أذن لكم : أي في التحريم حيث حرمتم البحيرة والسائبة وفي التحليل حيث أحللتم الميتة .

يفترون على الله الكذب : أي يختلقون الكذب تزويراً له وتقديراً في أنفسهم .

وما تكون في شأن : أي في أمر عظيم .

شهوداً إذْ تفيضون فيه : أي تأخذون في القول أو العمل فيه .

وما يعزب عن ربك : أي يغيب .

من مثقال ذرة : أي وزن ذرة والذرة أصغر نملة .

إلا في كتاب مبين : أي اللوح المحفوظ ومبين أي واضح .

معنى الآيات :

سياق الآيات في تقرير الوحي وإلزام المنكرين له من المشركين بالدليل العقلي قال

تعالى لرسوله ﷺ قل لهؤلاء المشركين[1] ﴿أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق﴾ أي أخبروني عما خلق الله لكم من نبات وطعام وحرث فجعلتم منه حراماً كالبحيرة والسائبة والثياب التى تحرِّمون الطواف بها والحرث الذي جعلتموه لآلهتكم، وحلال كالميتة التي تستبيحونها﴿ءالله أذن لكم﴾[2] (في هذا التشريع بوحي منه ﴿أم على الله تفترون﴾ فإن قلتم الله أذن لنا بوحي فلم تنكرون الوحي وتكذبون به، وإن قلتم لا وحي ولكننا نكذب على الله فموقفكم إذاً شر موقف إذ تفترون على الله الكذب والله تعالى يقول: ﴿وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة﴾ أي إذا هم وقفوا بين يديه سبحانه وتعالى ما ظنهم أيغفر لهم ويُعفى عنهم لا بل يلعنون وفي النار هم خالدون وقوله تعالى ﴿إن الله لذو فضل على الناس﴾ في كونه لا يعجل لهم العقوبة وهم يكذبون غليه ويشركون به ويعصونه ويعصون رسوله، ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾[3] وذلك لجهلهم وسوء التربية الفاسدة فيهم، وإلا العهد بالإنسان أن يشكر لأقل معروف وأتفه فضل.

وقوله تعالى ﴿وما تكون في شأن[4] وما تتلو منه من قرآن﴾ أي وما تكون يا رسولنا في أمر من أمورك الهامة وما تتلو من القرآن من آية أو آيات في شأن ذلك الأمر ﴿إلا كنا﴾ أي نحن رب العزة والجلال﴿عليكم شهوداً﴾ أي حضوراً ﴿إذ تفضيون فيه﴾[5] أي في الوقت الذي تأخذون فيه، وقوله تعالى ﴿وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في[6] الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾ يخبر تعالى عن سعة علمه تعالى وإحاطته بسائر مخلوقاته بحيث لا يعزب أي لا يغيب عن علمه تعالى مثقال ذرة أي وزن ذرة وهي النملة الصغيرة وسواء كانت في الأرض أو في السماء، وسواء كانت أصغر من النملة أو

---

(١) من كفّار قريش.

(٢) الاستفهام تقريري مشوب بالإنكار عليهم أيضاً. وعبر عن إعطائهم الرزق بإنزاله لهم، لأنّ أرزاقهم من حبوب وثمار وأنعام كلها متوقفة على المطر النازل من السماء حتى سمى العرب بني ماء السماء. وشاهده قوله تعالى ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه أنّا صببنا الماء صبّا. .﴾ الآية.

(٣) بذكره وعبادته وحده بما شرع أن يعبد به، وعلّة عدم الشكر، انظرها في التفسير.

(٤) الشأن والجمع شؤون: الخطب والأمر الهام، والخطاب للرسول ﷺ والأمّة معه وقدم ﷺ لعلو شأنه وسمو مقامه ﷺ.

(٥) الإفاضة في العمل: الشروع والدخول فيه.

(٦) الذرّة: النملة الصغيرة، أو الهباءة التي تُرى في ضوء الشمس.

أكبر منها. بالإضافة إلى أن ذلك كله في كتاب مبين أي في اللوح المحفوظ. لهذا العلم والقدرة والرحمة استوجب التأليه والعبادة دون سائر خلقه.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ تقرير الوحي وإثباته للنبي ﷺ.

٢ـ التحريم والتحليل من حق الله تعالى دون سائر خلقه.

٣ـ حرمة الكذب على الله، وإن صاحبه مستوجب للعذاب.

٤ـ ما أعظم نعم الله تعالى على العباد ومع هذا فهم لا يشكرون إلا القليل منهم

٥ـ وجوب مراقبة الله تعالى، وحرمة الغفلة في ذلك.

٦ـ إثبات اللوح المحفوظ وتقريره كما صرحت به الآيات والأحاديث.

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾

شـرح الكلمـات :

ألا : أداة استفتاح وتنبيه.

إن أولياء الله : جمع وليّ وهو المؤمن التقي بشرط أن يكون إيمانه وتقواه على نور من الله.

لا خوف عليـهم : أي لا يخافون عند الموت ولا بعده، ولا هم يحزنون على ما تركوا بعد موتهم.

آمنـوا : أي صدقوا بالله وبما جاء عن الله وبرسول الله وبما أخبر به رسول الله ﷺ.

يتقـــون : أي ما يسخط الله تعالى من ترك واجب أو فعل حرام.

لهم البشـرى : أي بالجنة في القرآن الكريم وعند الموت وبالرؤيا الصالحة يراها أو ترى له.

لا تبديل لكلمات الله : أي لوعده الذي يعده عباده الصالحين، لأن الوعد بالكلمة وكلمة الله لا تبدل.

الفــوز : النجاة من النار ودخول الجنـة.

معنى الآيـات :

يخبر تعالى مؤكداً الخبر بأداة التنبيه ﴿ألا﴾ وأداة التوكيد ﴿إن﴾ فيقول: ﴿ألا إن أولياء[1] الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ أي لا يخافون عند الموت ولا في البرزخ ولا يوم القيامة ولا هم يحزنون على ما يتركون وراءهم بعد موتهم ولا في الدار الآخرة وبين تعالى أولياءه وعرف بهم فقال: ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾[2] أي آمنوا به وبرسوله وبكل ما جاء به رسوله عن ربه، وكانوا يتقون طوال حياتهم وسائر ساعاتهم سخط الله تعالى فلا يتركون واجباً هم قادرون على القيام به، ولا يغشوْن محرماً لم يُكرهوا عليه. وقوله تعالى: ﴿لهم البشرى﴾ في الحياة الدنيا وفي[3] الآخرة: أي لهم بشرى ربهم في كتابه برضوانه ودخول الجنة ولهم البشرى بذلك عند الاحتضار تبشرهم الملائكة برضوان الله وجنته وفي الآخرة عند قيامهم من قبورهم تتلقاهم الملائكة بالبشرى.

وقوله تعالى: ﴿لا تبديل لكلمات الله﴾[4] وهو تأكيد لما بشرهم، إذ تلك البشرى كانت بكلمات الله وكلمات الله لا تتبدل فوعد الله إذاً لا يتخلف.

---

(١) الولي: مشتق من الولي بسكون اللام الذي هو القرب، ومتى زكت نفس المؤمن بالإيمان والعمل الصالح، وتخلّيها عن الشرك، والمعاصي قرُب من الله تعالى فوالاه، ومن آيات الولاية: استجابة الدعاء وهو من الكرامات التي يكرم الله تعالى بها أولياءه وفي الحديث: (الذين يُذْكَرُ الله برؤيتهم) وفي لفظ: (الذين إذا رُؤوا ذُكر الله) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن من عباد الله عبادا يغبطهم الأنبياء، والشهداء. قيل من هم يا رسول الله؟ لعلنا نحبّهم؟ قال: هم قوم تحابوا في الله من غير أموال ولا أنساب وجوههم نور على منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ: ﴿ألا إن أولياء الله﴾ الآية.

(٢) الجملة مستأنفة استئنافا بيانيا أي: كأنّما سائل قال: مَنْ هم أولياء الله؟ فأجيب: الذين آمنوا وكانوا يتقون).

(٣) لحديث: (انقطع الوحي ولم يبق إلاّ المبشرات قالوا: وما المبشرات يا رسول الله؟ قال: الرؤيا الصالحة يراها العبد المؤمن أو تُرى له).

(٤) كلمات الله هي: التي بها مواعيده ولذا فما يباشر الله تعالى به أولياءه هو كائن لا محالة إذ مواعيده لا تتبدل ووعوده لا تخلف.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ ولاية الله تعالى بطاعته وموافقته في محابه ومكارهه فمن آمن إيماناً يرضاه الله، واتقى الله في أداء الفرائض واجتناب المناهي فقد صار ولي الله والله وليه.

٢ـ البشرى هي ما يكرم الله به برؤيا صالحة يراها الولي أو تُرى له.

٣ـ الأولياء هم أهل الإيمان والتقوى فالكافر والفاجر لا يكون ولياً أبداً، إلا إذا آمن الكافر، وبَرَّ الفاجر بفعل الصالحات وترك المنهيات.

٤ـ صدْق إخبار الله تعالى وعدالة أحكامه، وسر ولايته إذ هي تدور على موافقة الرب تعالى فيما يجب من الاعتقادات والأعمال والأقوال والذوات والصفات وفيما يكره من ذلك فمن وافق ربه فقد والاه ومن خالفه فقد عاداه.

وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ
ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ
مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ
يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا
ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ
ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾

شـرح الكلمات :

لا يحزنـك : أي لا يجعلك قولهم تحزن.

إن العزة لله : العزة الغلبة والقهر.

شـــركـاء : أي شركاء بحق يملكون مع الله لعابديهم خيراً أو يدفعون عنهم ضراً.

إلا الظــن : الظن أضعف الشك.

يخرصـــون : أي يحزرون ويكـذبون.
لتسكنوا فيه : أي تخلدوا فيه إلى الراحة والسكون عن الحركة.
مبصـــراً : أي مضيئاً ترى فيه الأشياء كلها.
في ذلـك : أي من جَعْلِهِ تعالى الليل سكناً والنهار مبصراً لآيات.
يسمعون : أي سماع إجابة وقبول.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في تقرير قضايا التوحيد الثلاث التوحيد والنبوة والبعث قال تعالى مخاطباً رسوله محمداً ﷺ ﴿ولا يحزنك قولهم﴾ أي لا يجعلك قول المشركين المفترين ﴿لست مرسلاً﴾ وأنك ﴿شاعر مجنون﴾ تحزن فإن قولهم هذا لا ينتج لهم إلا سوء العاقبة والهزيمة المحتمة، ﴿إن العزة لله جميعاً﴾[1] فربك القوى القادر سيهزمهم وينصرك عليهم. إذاً فاصبر على ما يقولون ولا تأس ولا تحزن. إنه تعالى هو السميع لأقوال عباده العليم بأعمالهم وأحوالهم ولا يخفى عليه شيء من أمرهم. ﴿ألا إن الله من في السموات ومن في الأرض﴾ خلقاً وملكاً وتصرفاً، كل شيء في قبضته وتحت سلطانه وقهره فكيف تبالي بهم يا رسولنا فتحزن لأقوالهم ﴿وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء﴾ أي آلهة حقاً بحيث تستحق العبادة لكونها تملك نفعاً أو ضراً، موتاً أو حياة لابل ما هم في عبادتها متبعين إلا الظن ﴿وإن هم إلا يخرصون﴾ أي يتقولون ويكذبون. وقوله تعالى ﴿هو الذي[2] جعل لكم الليل لتسكنوا فيه، والنهار مبصراً﴾ أي الإلٰه الحق الذي يجب أن يدعى ويعبد الله الذي جعل لكم أيها الناس ليلاً مظلماً لتسكنوا فيه فتستريحوا من عناء العمل في النهار. وجعل لكم النهار مبصراً[3] أي مضيئاً لتتمكنوا من العمل فيه فتوفروا لأنفسكم ما تحتاجون إليه في حياتكم من غذاء وكساء. وليست تلك الآلهة من أصنام وأوثان بالتي تستحق الألوهية فتُدْعى وتُعبد. وقوله ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون[4]﴾ أي إن فيما

(١) أي: القوة الكاملة، والغلبة الشاملة، والقدرة التامة لله وحده، والعزيز هو الغالب الذي لا يُغلب، والقوي الذي لا يُحال بينه وبين مراده. و﴿جميعاً﴾ منصوب على الحال، وعزّة المؤمنين هي بعزّة الله فلا منافاة إذاً.

(٢) في الآية استدلال على عزّته تعالى وملكه لكل شيء وقدرته وتصرفه في كل شيء وهو ما أوجب له العبادة دون ما سواه.

(٣) يقال أبصر النهار، إذا صار ضياء، وأظلم الليل إذا صار ذا ظلام.

(٤) الجملة مستأنفة، والآيات: الدلائل الدالة على وحدانية الله تعالى في ربوبيته وألوهيته، والدلالة تكون مرئية ومسموعة ومعقولة، وعليه فالأعمى والأصم وغير العاقل لا يستفيدون منها فهذه علّة عدم استفادة المشركين من الآيات لفقدهم آلات العقل والسمع والبصر، إذ فسدت بالجهل والتقليد والعناد والمكابرة والجحود.

ذكر تعالى من كماله وعزته وقدرته وتدبيره لأمور خلقه آيات علامات واضحة على أنه لا إله إلا هو ولا رب غيره، ولكن يرى تلك الآيات من يسمع سماع قبول واستجابة لا من يسمع الصوت ولا يفكر فيه ولا يتدبر معانيه فإن مثله أعمى لا يبصر وأصم لا يسمع.

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١- على المؤمن الداعي إلى الله تعالى أن لا يحزنه أقوال أهل الباطل وأكاذيبهم حتى لا ينقطع عن دعوته، وليعلم أن العزة لله جميعاً وسوف يعزه بها، ويذل أعداءه.

٢- ما يُعبد من دون الله لم يقم عليه عابدوه أي دليل ولا يملكون له حجة وإنما هم مقلدون يتبعون الظنون والأوهام.

٣- مظاهر قدرة الله تعالى في الخلق والتدبير كافية في إثبات العبادة له ونفيها عما سواه.

قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ
سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ
إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا
لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ
لَا يُفۡلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ
نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٠﴾

شـرح الكلمـات :

سـبحانه : أي تنزه عن النقص وتعالى أن يكون له ولد.

الـغَنِيُّ : أي الغِنَىٰ المطلق بحيث لا يفتقر إلى شيء.

إن عندكم من سلطان : أي ما عندكم من حجة ولا برهان.

بهـذا : أي الذي تقولونه وهو نسبة الولد إليه تعالى.

متاع في الدنيا : أي ما هم فيه اليوم هو متاع لا غير وسوف يموتون ويخسرون

كل شيء.

يكفرون : أي بنسبة الولد إلى الله تعالى، وبعبادتهم غير الله سبحانه وتعالى.

معنى الآيات :

ما زال السياق في تحقيق التوحيد وتقريره بإبطال الشرك وشبهه فقال تعالى: ﴿قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه﴾ أي قال المشركون أن الملائكة بنات الله[1] وهو قول مؤسف محزن للرسول ﷺ كقولهم له ﴿لست مرسلاً﴾، وقد نهي ﷺ عن الحزن من جراء أقوال المشركين الفاسدة الباطلة. ونزه الله تعالى نفسه عن هذا الكذب فقال سبحانه، وأقام الحجة على بطلان قول المشركين بأنه هو الغَنيُّ الغِنَىَ الذاتي الذي لا يفتقر معه إلى غيره فكيف إذاً يحتاج إلى ولد أو بنت فيستغني به وهو الغني الحميد، وبرهان آخر على غناه أن له ما في السموات وما في الأرض الجميع خلقه وملكه فهل يعقل أن يتخذ السيد المالك عبداً من عبيده ولداً له. وحجة أخرى هل لدى الزاعمين بأن لله ولداً حجة تثبت ذلك والجواب لا، لا. قال تعالى مكذباً إياهم: ﴿إن[2] عندكم من سلطان بهذا﴾ أي ما عندكم من حجة ولا برهان بهذا الذي تقولون ثم وبخهم وقرعهم بقوله: ﴿أتقولون[3] على الله ما لا تعلمون؟﴾ وأمر رسوله ﷺ أن يقول معلناً عن خيبة الكاذبين وخسرانهم: ﴿إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾[4] وإن قيل كيف لا يفلحون وهم يتمتعون بالأموال والأولاد والجاه والسلطة أحياناً فالجواب في قوله تعالى ﴿متاع[5] في الدنيا﴾ أي ذلك متاع في الدنيا، يتمتعون به إلى نهاية أعمارهم، ثم إلى الله تعالى مرجعهم جميعاً، ثم يذيقهم العذاب الشديد الذي ينسون معه كل ما تمتعوا به في الحياة الدنيا، وعلل

---

(١) وقال اليهود: عزير بن الله وقال النصارى عيسى بن الله والكل مفتر كذّاب، ولا شك أن الشيطان هو الذي زيّن لهم هذا الباطل ليغويهم فيضلهم ويهلكهم.

(٢) إن نافية بمعنى: (ما) كما هي في التفسير أي: ما عندكم من حجة تثبت ما ادعيتموه وتُلزم به لقوتها كقوة ذي السلطان.

(٣) الاستفهام للتوبيخ والتقريع بجهلهم وكذبهم إذ الولد يتطلب المجانسة والمشابهة بينه وبين من ينسب إليه وأين ذلك؟ والله ليس كمثله شيء إذ هو خالق كل شيء.

(٤) الفلاح: الفوز، والفوز هي السلامة من المرهوب والظفر بالمحبوب المرغوب، والمفترون على الله الكذب لا ينجون من النار ولا يدخلون الجنة فهم إذا خاسرون غير مفلحين.

(٥) هذه الجملة مستأنفة استئنافاً بيانيا لأنها جواب سؤال هو: كيف لا يفلحون وهم في عزّة وقدرة وسلطان فيجاب السائل: بأن هذا متاع في الدنيا زائل لا قيمة له، بالمقابلة بالفلاح المنتفي عنهم وهو فلاح الآخرة.

تعالى ذلك العذاب الشديد الذي أذاقهم بكفرهم فقال: ﴿بما كانوا يكفرون﴾[1] أي يجحدون كمال الله وغناه فنسبوا إليه الولد والشريك.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- كفر من ينسب إلى الله تعالى أي نقص كالولد والشريك أو العجز مطلقاً.

٢- كل دعوى لا يقيم لها صاحبها برهاناً قاطعاً وحجة واضحة فلا قيمة لها ولا يحفل بها.

٣- أهل الكذب على الله كالدجالين والسحرة وأهل البدع والخرافات لا يفلحون ونهايتهم الخسران.

٤- لا ينبغي للمؤمن أن يغتر بما يرى عليه أهل الباطل والشر من المتع وسعة الرزق وصحة البدن فإن ذلك متاع الحياة الدنيا، ثم يؤول أمرهم إلى خسران دائم.

۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم
مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟
أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟
إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ
أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾
فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ
وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ

شرح الكلمات:

واتل عليهم نبأ نوح: أي اقرأ على المشركين نبأ نوح أي خبره العظيم الخطير.

---

(١) الباء في ﴿بما كانوا يكفرون﴾ للتعليل الذي هو السببيّة أي: بسبب كفرهم، إذ الكفر خبث نفوسهم فاستوجبوا النار وعذابها.

كبر عليكم مقامي	: أي عظم عليكم مقامي بينكم ادعو الى ربي .
فاجمعوا أمركـم	: أي اعزموا عزماً أكيداً .
غـمّـــــة	: أي خفاء ولبساً لا تهتدون منه إلى ما تريدون .
ثم اقضوا إلي	: أي انفذوا أمركم .
ولا تنظـرون	: أي ولا تمهلون رحمة بي أو شفقة علي .
فإن توليتـم	: أي أعرضتم عما أدعوكم إليه من التوحيد .
في الفلـك	: أي في السـفينة .
خلائـــف	: أي يخلف الآخر الأول جيلاً بعد جيل .

معنى الآيـات :

ما زال السياق الكريم في طلب هداية المشركين بالرد على دعاواهم وبيان الحق لهم وفي هذه الآيات يأمر الله تعالى الرسول ﷺ أن يقرأ عليهم طرفاً من قصة نوح مع قومه المشركين الذين كانت حالهم كحال مشركي العرب سواء بسواء وفي قراءة هذا القصص فائدتان الأولى تسلية الرسول وحمله على الصبر، والثانية تنبيه المشركين إلى خطإهم، وتحذيرهم من الاستمرار على الشرك والعصيان فيحل بهم من العذاب ما حل بغيرهم قال تعالى: ﴿واتل عليهم نبأ نوح﴾[1] أي خبره العظيم الشأن وهو قوله لهم ﴿يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي﴾[2] أي عظم وشق عليكم وجودي بينكم أدعوكم إلى الله، وتذكيري إياكم بآيات الله، فإني[3] توكلت على الله فأجمعوا أمركم أي اعـزموا عزماً أكيداً وادعوا أيضاً شركاءكم للاستعانة بهم، ثم أحذركم أن يكون أمركم عليكم غمة أي[4] خفياً ملتبساً عليكم فيجعلكم تترددون في إنفاذ ما عزمتم عليه، ثم اقضوا[5] إليّ ما تريدون من قتلي أو نفيي ولا

---

(١) ﴿اتل﴾ فعل أمر حذفت منه الواو لبنائه على حذفها إذ ماضيه تلا ومضارعه يتلو، والأمر: اتل بمعنى اقرأ، والتلاوة: موالاة الكلمات والقراءة جمعها.

(٢) المقام: بفتح القاف، موضع القيام، والمُقام بالضمّ الإقامة، ومعنى كبُر: ثقل وعظم.

(٣) هذه الجملة ﴿فعلى الله توكلت﴾ هي جواب الشرط الذي هو: فإن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله التي هي دلائل فضله ودلائل وحدانيته تعالى.

(٤) الغمّة والغمّ بمعنى واحد، ومعناه التغطية والستر ومنه: غم الهلال إذا استتر، قال الشاعر:

لعمرك ما أمري عَليَّ بغمّة   نهاري ولا ليلي عليَّ بسرمد

وأصل الغمّ: مشتق من الغمامة، وكل أمر مبهم ملتبس فهو غمّة.

(٥) أي: أنفذوا ما حكمتم به عليَّ من قتلي إن أردتم ذلك.

تنظرون أي لا تؤخروني أي تأخير. وقوله تعالى: ﴿فإن توليتم﴾ أي أعرضتم عن دعوتي وتذكيري ولم تقبلوا ما أدعوكم إليه من عبادة الله تعالى وحده، فما سألتكم عليه من أجر أي ثواب، حتى تتولوا. إن أجري إلا على ربي الذي أرسلني وكلفني. وقد أمرني أن أكون من المسلمين له قلوبهم ووجوههم وكل أعمالهم فأنا كذلك كل عملي له فلا أطلب أجراً من غيره قال تعالى: ﴿فكذبوه﴾ أي دعاهم واستمر في دعائهم إلى الله زمناً غير قصير وكانت النهاية: أن كذبوه، ودعانا لنصرته فنجيناه ومن معه من المؤمنين في السفينة وجعلناهم خلائف(1) لبعضهم بعضاً أي يخلف الآخر الأول، وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا التي أرسلنا بها عبدنا نوحاً فانظر يا رسولنا كيف كان عاقبة المنذرين الذين لم يقبلوا النصح ولم يستجيبوا للحق إنها عاقبة وخيمة إذ كانت إغراقاً في طوفان وناراً في جهنم وخسراناً قال تعالى في سورة نوح: ﴿مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- تسلية الدعاة بمثل موقف نوح العظيم إذ قال لقومه: أجمعوا أمركم ونفذوا ما تريدون إني توكلت على الله.

٢- ثمرة التوكل شجاعة واطمئنان نفس وصبر وتحمل مع مضاء عزيمة.

٣- دعوة الله لا ينبغي أن يأخذ الداعي عليها أجراً إلا للضرورة.

٤- بيان سوء عاقبة المكذبين بعد إنذارهم وتحذيرهم.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾

﴿٧٣﴾

---

(1) جمع خليفة وهو اسم لمن يخلف غيره.

فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾
قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ
ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا
وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾

شرح الكلمات :

بالبينات	: أي بالحجج الواضحات على صدق دعوتهم، وما يدعون إليه من توحيد الله تعالى.
نطبع	: الطبع على القلب عبارة عن تراكم الذنوب على القلب حتى لا يجد الإيمان إليه طريقاً.
المعتدين	: الذين تجاوزوا الحد في الظلم والاعتداء على حدود الشرع.
الحق	: الآيات التي جاء بها موسى عليه السلام وهي تسع.
لتلفتنا	: لتصرفنا وتحول وجوهنا عما وجدنا عليه آباءنا.
الكبرياء	: أي العلو والسيادة والملك على الناس.

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى طرفاً من قصة نوح عليه السلام وأبرز فيها مظهر التوكل على الله تعالى من نوح ليُقتدَى به، ومظهر نصرة الله تعالى لأوليائه وهزيمته أعدائه ذكر هنا سنة من سننه في خلقه وهي أنه بعث من بعد نوح رسلاً كثيرين[1] إلى أممهم فجاؤوهم بالبينات أي بالحجج والبراهين على صدقهم وصحة ما جاءوا به ودعوا إليه من توحيد الله، فما كان أولئك الأقوام ليؤمنوا بما كذب به من سبقهم من أمة نوح. قال تعالى: ﴿كذلك نطبع[2] على

(١) كهود وصالح وابراهيم ولوط وشعيب وغيرهم.

(٢) ﴿نطبع﴾ نختم، إذ الختم والطبع واحد، والطبع يكون بالخاتم.

قلوب المعتـدين﴾ هذا بيان سنة الله تعالى في البشر وهي أن العبد إذا أذنب وواصل الذنب بدون توبة يصبح الذنب طبعاً من طباعه لا يمكنه أن يتخلى عنه، وما الذنب إلا اعتداء على حدود الشارع فمن اعتدى واعتدى وواصل الاعتداء حصل له الطبع وكان الختم على القلب فيصبح لا يقبل الإيمان ولا يعرف المعروف ولا ينكر المنكر. وقوله تعـالى: ﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون﴾[1] أي من بعد الأمم الهالكة بعثنا رسولينا موسى وهرون ابني عمران إلى فرعون وملئه بآياتنا المتضمنة الدليل على صحة مطلب رسـولينـا وهو توحيد الله وإرسال بني اسرائيل معهما، ﴿فاستكبروا﴾ أي فرعون وملؤه ﴿وكانوا قوماً مجرمين﴾ حيث أفسدوا القلوب[2] والعقول وسفكوا الدماء وعذبوا الضعفاء يقول تعالى عنهم ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين﴾ أي لما بهرتهم المعجزات وهي آيات موسى وأبطلت إفكهم قالوا إن هذا لسحر مبين تخلصاً من الهزيمة التي لحقتهم، فرد موسى عليهم بقـولـه ﴿أتقـولون للحق لما جـاءكـم﴾ هـذا سـحر[3] ثم بعد توبيخهم استدل على بطلان قولهم بكونه انتصر عليهم فأفلح بينهم وفاز عليهم فقال: ﴿أسحر هذا ولا يفلح الساحرون﴾ فلو كان ما جئت به سحراً فكيف أفلحت في إبطال سحركم وهزيمة سحـرتكم. فلمـا أفحمهم بالحجة قالوا مراوغين: ﴿أجئتنا لتلفتنا﴾ أي تصرفنا ﴿عما وجدنا عليه آباءنا، وتكون لكما الكبرياء في الأرض﴾ أي وتكون لكما السيادة والملك في أرض مصر فسلكوا مسلك الاتهام السياسي. وقالوا ﴿وما نحن لكما بمؤمنين﴾ أي بمصدقين ولا متبعين.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ بيان سنة الله في البشر وهي أن التوغل في الشر والفساد والظلم يوجب الختم على

---

(١) أي: من بعد الرسول والأمم إذ لكل أمّة رسول.

(٢) أفسدوا القلوب بالشرك والكفر والعقول بالسحر والأباطيل وسفكوا الدماء بقتل ذكران بني اسرائيل الصغار (المواليد).

(٣) مفعول ﴿أتقولون﴾ محذوف لدلالة الكلام عليه وهو: إن هذا لسحر مبين وتقدير الكلام أنهم لما قالوا في الآيات لسحر مبين رد عليهم موسى بقوله: أتقولون للحق لما جاءكم هذا. أسحر هذا؟ أي كيف يكون هذا الذي جئتكم به من الآيات سحراً؟ والسـاحر لا يفلح وقد أفلحت فبطل أن يكون ما جئتكم به من الآيات سحراً للحق: اللام يسميها بعضهم لام المجاوزة فهي بمعنى عن أي: تقولون عن الحق كذا. والظاهر أنها لام التعليل.

القلوب فيحرم العبد الإيمان والهداية .
٢ـ ذم الاستكبار وأنه سبب كثير من الإجرام .
٣ـ تقرير أن السحر صاحبه لا يفلح أبداً ولا يفوز بمطلوب ولا ينجو من مرهوب .
٤ـ الاتهامات الكاذبة من شأن أهل الباطل والظلم والفساد.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ
قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ
مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ
عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ
ٱلْمُجْرِمُونَ

شرح الكلمات :

ساحر عليم : أي ذو سحر حقيقي له تأثير عليم بالفن .
ألقــــوا : أي ارموا في الميدان ما تريدون إلقاءه من ضروب السحر.
إن الله سيبطله : أي يظهر بطلانه أمام النظارة من الناس .
ويحق الله الحق : أي يقرر الحق ويثبته .
بكلمـاته : أي بأمره إذ يقول للشيء كن فيكون .
المجـرمــون : أهل الإجرام على أنفسهم وعلى غيرهم وهم الظلمة المفسدون .

معنى الآيـات :

ما زال السياق في ذكر قصة موسى بعد قصة نوح عليهما السلام في الآيات السابقة لما غلب موسى فرعون وملأه بالحجة اتهم فرعون موسى وأخاه هارون بأنهما سياسيان يريدان الملك والسيادة على البلاد لا همَّ لهما إلا ذاك وكذب فرعون وهو من الكاذبين وهنا أمر

رجال دولته أن يحضروا له علماء السحر[1] ليبارى موسى في السحر فجمع سحرته فقال لهم موسى ﴿ألقوا ما أنتم ملقون﴾[2] فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون، فنظر إليه موسى وقال: ﴿ما جئتم[3] به السحر إن الله سيبطله[4] إن الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون﴾[5] وألقى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ للسحر طرق يتعلم بها وله علماء به وتعلمه حرام واستعماله حرام.

٢ـ حـد الساحر القتل لأنه إفساد في الأرض.

٣ـ جواز المبارزة للعدو والمباراة له إظهاراً للحق وإبطالاً للباطل.

٤ـ عاقبة الفساد وعمل أصحابه الخراب والدمار.

٥ـ متى قاوم الحق الباطل انهزم الباطل وانتصر الحق بأمر الله تعالى ووعده الصادق.

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ ﴿٨٢﴾

(١) طلب فرعون بإتيانه بالسحرة إذ قال: أئتوني بكل ساحر عليم قال هذا لما شاهد العصا واليد البيضاء فاعتقد أنها سحر فأراد أن يقابله بسحر قومه.

(٢) أي: اطرحوا ما معكم من حبالكم وعصيكم.

(٣) أي: ما أظهرتموه لنا من هذه الحبال والعصي، وقد تراءت وكأنها حيّات وثعابين هو السحر وعلّل لذلك بقوله إنّ الله سيبطله وعلة أخرى وهو أن الله لا يصلح عمل المفسدين، وإظهار اسم الجلالة في التعليلين: ﴿إنّ الله سيبطله﴾ ﴿إنّ الله لا يصلح عمله المفسدين﴾ لإلقاء الروع وتربية المهابة في النفوس.

(٤) قال ابن عباس رضي الله عنه مَن أخذ مضجعه من الليل ثم تلا هذه الآية. ﴿ما جئتم به السحر إنّ الله سيبطله إنّ الله لا يصلح عمل المفسدين﴾ لم يضرّه كيد ساحر.

(٥) أراد بالمجرمين: فرعون وملأه، وفي الكلام تعريض بهم، وعدل عن وصفهم بالإجرام لأنّه مأمور أن يقول قولا ليّناً فاستغنى بالتعريض بدل التصريح

تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا
بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ
أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً
وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾

شرح الكلمات :

فما آمن لموسى : أي لم يَنْقَدْ له ويتبعه.

إلا ذرّيّة : أي طائفة قليلة من أولاد بني إسرائيل.

وملائهم : أي أشرافهم ورؤسائهم.

أن يفتنهم : أن يضطهدهم ويعذبهم.

لعال في الأرض : قاهر مُستبدّ.

مسلمين : مذعنين منقادين لأمره ونهيه.

فتنة للقوم الظالمين : أي لاتفتنهم بنا بأن تنصرهم علينا فيروا أنهم خير منا فيزدادوا كفراً.

أن تبوّءا : اتخذا لقومكما بمصر بيوتا تبوءون إليها وترجعون.

قبلة : أي مساجد تصلون فيها.

معنى الآيات :

بعد ذلك الانتصار الباهر الذي تم لموسى على السحرة، والهزيمة المرة التي لحقت فرعون ولم يؤمن لموسى ويتابعه إلا ذرّيّة من بني إسرائيل، وعدد قليل من آل فرعون كامرأته ومؤمن آل فرعون والماشطة قال تعالى: ﴿فما آمن لموسى إلا ذرية[1] من قومه على خوف من فرعون﴾ أي مع خوف من فرعون أن يفتنهم وقوله: ﴿وملائهم﴾ عائد إلى مؤمنى آل فرعون أي مع خوف من ملائهم أي رؤسائهم وأشرافهم أن يفتنوهم أيضاً، وقوله تعالى ﴿وإن فرعون لعال في الأرض﴾ أي إنه قاهر متسلط مستبد ظالم، ﴿وإنه لمن

---

(١) المراد بالذرية أولاد بني اسرائيل الشبان الذين آمنوا عند مشاهدة المباراة وانتصار موسى فيها.

المسرفين﴾[1] في الظلم فلذا خافوه لما آمنوا، ولما ظهر الخوف على بني إسرائيل قال لهم موسى ﴿يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾[2] ففوضوا أمركم إليه إن كنتم حقاً مسلمين لله منقادين لأمره ونهيه، فأجابوا قائلين: ﴿على الله توكلنا﴾ وسألوا الله تعالى أن لا يفتن قوم فرعون بهم بأن ينصرهم عليهم فيزدادوا كفراً وظلماً، وضمن ذلك أن لا تسلط الظالمين علينا فيفتنونا في ديننا بصرفنا عنه بقوة التعذيب ﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين، ونجنا برحمتك من القوم الكافرين﴾ وهذا حسن توسل منهم إذا قالوا برحمتك فتوسلوا إلى الله برحمته ليستجيب دعاءهم، والمراد من القوم الكافرين هنا فرعون وملأه. وقوله تعالى: ﴿وأوحينا إلى موسى وأخيه﴾ أي هارون ﴿أن تبوءا لقومكما﴾[3] أي من بني إسرائيل ﴿بمصر﴾ أي بأرض مصر[4] ﴿بيوتاً، واجعلوا بيوتكم قبلة﴾[5] أي متقابلة ومساجد[6] تصلون فيها ﴿وأقيموا الصلاة﴾ على الوجه الذي شرع لكم. وهذا بناء على أن بني إسرائيل بعد الانتصار على فرعون أخذوا ينحازون من مجتمع فرعون فأمروا أن يكونوا حياً مستقلاً استعداداً للخروج من أرض مصر فأمرهم الرب تبارك وتعالى أن يجعلوا بيوتهم قبلة أي متقابلة ليعرفوا من يدخل عليهم ومن يخرج منهم وليصلوا فيها كالمساجد حيث منعوا من المساجد إما بتخريبها وإما بمنعهم منها ظلماً وعدواناً وقوله تعالى ﴿وبشر المؤمنين﴾ أي وبشر يا رسولنا[7] المؤمنين الصادقين في إيمانهم الكاملين فيه بحسن العاقبة بكرامة الدنيا وسعادة الآخرة بدخول دار السلام.

---

(١) ﴿المسرفين﴾: أي المجاوزين الحد في الكفر لأنه كان عبداً فادعى الربوبية.

(٢) كرر جملة الشرط تأكيداً، مبيّنا أنّ كمال الإيمان يقتضي التوكل على الله تعالى.

(٣) أي: اتخذا، يقال: بوّأه الدار: أنزله إيّاها وأسكنه فيها. وفي الحديث (من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) أي: فلينزله ملازما له.

(٤) قيل: المراد بمصر: الأسكندرية.

(٥) في الآية دليل علي جواز صلاة الخائف المكتوبة في بيته، أمّا النافلة فهي في البيوت أفضل لقول الرسول ﷺ (فعليكم بالصلاة في بيوتكم فإنّ خير صلاة المرء في بيته إلاّ المكتوبة).

(٦) في هذا جمع بين رأيين. الأول: أن المراد من كلمة قبلة: أنها مساجد والثاني: أنها متقابلة ليتم لهم بذلك حمايتهم من عدوهم بعد أن استقلوا عنه.

(٧) هو موسى عليه السلام، بدليل السياق الكريم.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ تسلية الرسول ﷺ حيث أراه كيف انتصر موسى بالمعجزات ومع ذلك لم يتابعه إلا القليل من قومه.

٢ـ التنديد بالعلو في الأرض والإسراف في الشر والفساد وبأهلهما.

٣ـ وجوب التوكل على الله تعالى لتحمل عبء الدعوة إلى الله تعالى والقيام بطاعته.

٤ـ مشروعية الدعاء والتوسل إلى الله تعالى بأسمائه وصفاته.

٥ـ اتخاذ المساجد في المنازل للصلاة فيها عند الخوف.

٦ـ وجوب إقام الصـلاة

٧ـ بشرى الله تعالى للمؤمنين والمقيمين للصلاة بحسن العاقبة في الدارين.

وَقَالَ مُوسَىٰ
رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۖ رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ
وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾
قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

شـرح الكلمـات :

زينـة : أي حلياً وحللاً ورياشاً ومتاعاً.

أمـوالاً : أي كثيرة من الذهب والفضة والأنعام والحرث.

اطمس : أي أزل أثرها من بينهم بإذهابها.

واشدد على قلوبهم : اربط عليها حتى لا يدخلها إيمان ليهلكوا وهم كافرون.

أجيبت دعوتكما : أي استجابها الله تعالى .

فاستقيمـا : على طاعة الله بأداء رسالته والدعوة إليه والصبر على الأذى فيه .

سبيل الذين لا يعلمون : أي طريق الجهلة الـذي لا يعرفون محاب الله ومساخطه ولا يعلمون شرائع الله التى أنزل لعباده .

معنى الآيتين :

ما زال السياق في قصة موسى مع فرعون وبنى إسرائيل فبعد أن لج فرعون في العناد والمكابرة بعد هزيمته سأل موسى ربه قائلاً ﴿ربنا إنك آتيت فرعون وملأه﴾ أي أعطيتهم ﴿زينـة﴾ أي ما يتـزين به من المـلابس والفـرش والأثاث وأنواع الحلي والحلل وقوله ﴿وأموالاً﴾[1] أي الذهب والفضة والأنعام والحرث ﴿في الحياة الدنيا﴾ أي في هذه الحياة الدنيا وقوله : ﴿ربنا ليضلوا عن سبيلك﴾[2] أي فيسبب ذلك لهم الضلال إذاً[3] ﴿ربنا اطمس على أموالهم﴾ أي أذهب أثرها بمسحها وجعلها غير صالحة للانتفاع بها ، ﴿واشدد على[4] قلوبهم﴾ أي اطبع على قلوبهم واستوثق منها فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم الموجع أشد الإيجاع ، قال تعالى : ﴿قد أجيبت دعوتكما ، فاستقيما﴾[5] على طاعتنا بالدعوة إلينا وأداء عبادتنا والنصح لعبادنا والعمل على إنقاذ عبادنا من ظلم الظالمين ، ﴿ولا تتبعانٍّ سبيل الذين لا يعلمون﴾ أي فتستعجلا وقوع العذاب فإن الذين لا يعلمون ما لله من حكم وتدابير وقضاء وقدر يستعجلون الله تعالى في وعده لهم فلا تكونوا مثلهم بل انتظروا وعدنا واصبروا حتى يأتي وعد الله . وما الله بمخلف وعده .

---

(١) قيل : إنه كان لهم من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها معادن الذهب والفضة والزبرجد والزمرد ، والياقوت .

(٢) في هذه اللاّم أقوال : أصحها : أنها لام العاقبة ، والصيرورة . أي : يا رب إنك آتيت فرعون وقومه أموالا ليؤول أمرهم بسبب تلك الأموال إلى ضلالهم .

(٣) أي : عاقبهم على كفرهم بإهلاك أموالهم . وفعلا أصبحت حجارة لا ينتفع بها وكان ذلك عقوبة منه تعالى لهم على كفرهم وعنادهم .

(٤) قد استشكل العلماء وجه دعاء موسى على فرعون وقومه بالهلاك إذ المفروض أن يدعو لهم بالهداية . وأجيب بأنه قد علم بإعلام الله تعالى له أنهم لا يؤمنون فلذا دعا عليهم ، كما أعلم الله تعالى نوحاً بعدم إيمان قومه فلذا دعا عليهم ، إذ قال له ربّه : ﴿إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾ وهنا دعا عليهم قائلا : ﴿ربِّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديّارا﴾ .

(٥) كان موسى يدعو، وهارون يؤمن أي : يقول : آمين فاعتبر داعيا مع أخيه . لأنّ قول آمين معناه : اللهم استجب دعاءنا .

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١ـ مشروعية الدعاء بالهلاك على أهل الظلم.

٢ـ كثرة المال وأنواع الزينة، والانغماس في ذلك والتلهي به يسبب الضلال لصاحبه.

٣ـ الذين بلغوا حداً من الشر والفساد فطبع على قلوبهم لا يموتون إلا على الكفر فيخسرون.

٤ـ المؤمِّن داع فهو شريك في الدعاء[1] فلذا أهل المسجد يؤمِّنون على دعاء الإمام في الخطبة فتحصل الإجابة للجميع، ومن هنا يخطيء الذين يطوفون أو يزورون إذ يدعون بدعاء المطوف ولا يؤمِّنون.

٥ـ حرمة اتباع طرق أهل الضلال، وتقليد الجهال والسير وراءهم.

﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾

شرح الكلمات :

وجاوزنا ببني إسرائيل : أي قطعنا بهم البحر حتى تجاوزوه.

البحـــر : بحـر القلزم.

(١) روى الترمذي الحكيم عنه ﷺ أنه قال: (إن الله قد أعطى أمتي ثلاثاً لم تعط أحداً قبلهم: السلام، وهي تحية أهل الجنة، وصفوف الملائكة وآمين إلاّ ما كان من موسى وهارون) وعلى هذا فموسى كان يدعو وهارون يؤمن فاعتبر داعيا.

بغيا وعــدوا[1] : أي بغيا على موسى وهرون واعتداء عليهما.
آلآن : أي أفي هذا الوقت تقر بالوحدانية وتعترف له بالذلة؟!.
ببدنــك : أي بجسدك لا روح فيه.
آيـــة : علامة على أنك عبد وليس برب فيعتبروا بذلك.

معنى الآيـات :

ما زال السياق في قصة موسى وهرون مع فرعون وبني إسرائيل قال تعالى: ﴿وجاوزنا[2] ببني إسرائيل البحر﴾ وذلك بداية استجابة الله تعالى دعوة موسى وهرون ومعنى ﴿جاوزنا﴾ أي قطعنا بهم البحر حتى تجاوزوه، وذلك بأن أمر موسى أن يضرب بعصاه البحر فضرب فانفلق البحر فكان كل فرق كالطود العظيم ويَبِسَت الأرض ودخل موسى مع بني إسرائيل يتقدمهم جبريل عليه السلام على فرس حتى تجاوزوا البحر إلى الشاطىء، وجاء فرعون على فرسه ومعه ألوف[3] الجنود فتبعوا موسى[4] وبني إسرائيل فدخلوا البحر فلما توسطوه أطبق[5] الله تعالى عليهم البحر فغرقوا أجمعين إلا ما كان من فرعون فإنه لما أدركه الغرق أي لحقه ووصــل الماء إلى عنقه أعلن عن توبته فقال: ﴿آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل﴾ ولكبريائه لم يقل لا إله إلا الله ولو قالها لتاب الله عليه فأنجاه بل قال: ﴿لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل﴾ وهو يعرف أنه الله. وقوله: ﴿وأنا من المسلمين﴾ مبالغة في طلب النجاة من الغرق بالتوبة حيث أعلن أنـه من المسلمين أي المستسلمين المنقادين لأمره. فرد الله تعالى بقوله: ﴿آلآن﴾ أي وقت التوبة[6] والإسلام بعد الإيمان،

---

(١) ﴿بغياً﴾ منصوب على الحال. و﴿عدوا﴾ معطوف عليه، وكان اتباع فرعون بني اسرائيل بغيا وعدوا لأنه ليس له شائبة حق في منعهم من الخروج من بلاده إلى بلادهم.

(٢) جاوزنا وجوّزنا: بمعنى واحد.

(٣) قال القرطبي: كان بنو اسرائيل ستمائة وعشرين ألفاً، وكان جيش فرعون ألفي ألف وستمائة ألف. أي مليونين ونصفاً وزيادة.

(٤) تبع واتبع بمعنى واحد إذا لحقه وأدركه، وأمّا اتبع بالتشديد فإن معناه: سار خلفه.

(٥) روى الترمذي وحسّنه أن النبي ﷺ قال (لما أغرق الله فرعون قال: آمنت أنه لا إله إلاّ الذي آمنت به بنو اسرائيل، قال جبريل يا محمد فلو رأيتني وأنا آخذ من وحل البحر فأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمه) وحل البحر: الطين الأسود الذي يكون في أسفله، ومعنى تدركه الرحمة: أي يقول لا إله إلا الله.

(٦) لأنّ التوبة تقبل من العبد ما لم يرَ علامات الموت بمشاهدة الملائكة، وفي الحديث الصحيح: (إن الله يقبل توبة العبد مالم يُغرغر).

﴿وقد عصيت قبل﴾ وتمردت على الله وشرعه وكفرت به وبرسوله ﴿وكنت من المفسدين﴾ للبلاد والعباد بالظلم والشر والفساد، ﴿فاليوم ننجيك﴾ أي نجعلك على نجوة من الأرض أي مرتفع منها ﴿ببدنك﴾ أي بجسمك دون روحك، وبذلك ﴿لتكون لمن خلفك﴾ أو بعدك من الناس ﴿آية﴾ أي علامة على أنك عبد مربوب وليس كما زعمت أنك رب وإله معبود، وتكون عبرة لغيرك فلا يطغى طغيانك ولا يكفر كفرانك فيهلك كما هلكت، وقوله تعالى: ﴿وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون﴾ إخبار منه بواقع الناس ومن أولئك الغافلين عن آيات الله وهي تتلى عليهم أهل مكة من كفار قريش وما سيق هذا القصص إلا لأجل هدايتهم. لو كانوا يهتدون.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- لا تقبل التوبة عند معاينة العذاب وفي الحديث (تقبل توبة العبد ما لم يغرغر).

٢- أكمل الأديان وأفضلها الإسلام ولهذا أهل اليقين يسألون الله تعالى أن يتوفاهم مسلمين ولما أيقن فرعون بالهلاك زعم أنه من المسلمين.

٣- فضل لا إله إلا الله فقد ورد أن جبريل كان يحول بين فرعون وبين أن يقول: لا إله إلا الله فينجو فلم يقلها فغرق وكان من الهالكين.

٤- تقرير حقيقة وهي أن أكثر الناس في هذه الحياة غافلون عما يراد بهم ولهم ولم ينتبهوا حتى يهلكوا.

وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾

شرح الكلمات:

مبوأ صدق : أي أنزلناهم منزلاً صالحاً طيباً مرضياً.

من الطيبات : أي من أنواع الأرزاق الطيبة الحلال.

حتى جاءهم العلم : وهو معرفتهم أن محمداً ﷺ هو النبي المنتظر وأنه المنجي.
يقضي بينهم : يحكم بينهم.
فيما كانوا فيه يختلفون : أي في الذي اختلفوا من الحق فيدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار.

معنى الآية الكريمة

هذه خاتمة الحديث عن موسى وبني إسرائيل بعد أن نجاهم الله من عدوهم بإهلاكه في اليم قال تعالى: ﴿ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق﴾ أي أنزلناهم مبوأ صالحاً طيباً وهو بلاد فلسطين من أرض الشام المباركة،[1] وذلك بعد نجاتهم من التيه ودخولهم فلسطين بصحبة نبي الله يوشع بن نون عليه السلام، وقوله ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ إذ أرض الشام أرض العسل والسمن والحبوب والثمار واللحم والفحم وذكر هذا إظهار لنعم الله تعالى ليشكروها. وقوله: ﴿فما اختلفوا حتى جاءهم العلم﴾ يريد أن بني إسرائيل الذين أكرمهم ذلك الإكرام العظيم كانوا قبل مبعث النبي ﷺ متفقين على دين واحد منتظرين النبي المنتظر المبشر به في التوراة الذي سينقذ بني إسرائيل مما حل بهم من العذاب والاضطهاد على أيدي أعدائهم الروم، فلما جاءهم وهو العلم وهو القرآن والمنزل عليه محمد ﷺ اختلفوا فمنهم من آمن به،[2] ومنهم من كفر. وقوله تعالى في خطاب النبي ﷺ: ﴿إن ربك يقضي[3] بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ من أمر الإيمان لك واتباعك واتباع ما جئت به من الهدى ودين الحق، فيدخل المؤمنين الجنة ويدخل الكفار النار.

هداية الآية الكريمة

من هداية الآية الكريمة:

١ـ بيان إكرام الله تعالى لبني إسرائيل.

---

(١) وروي ان ابن عباس رضي الله عنهما قال: في المبوأ الصدق: هو بنو قريظة وبنو النضير، وأهل عصر النبي ﷺ بقرينة: ﴿فما اختلفوا حتى جاءهم العلم﴾ الذي هو القرآن يحمله محمد ﷺ وقرينة ما في التفسير هي أن الحديث كان في إنجاء بني اسرائيل وإهلاك فرعون وهو يناسبه أن يكون المبوأ: أرض فلسطين والشام.

(٢) كعبد الله بن سلام وأمثاله.

(٣) يقضي: معناه يحكم، فيحكم لأهل الإيمان والاستقامة بدخول الجنة ويحكم لأهل الكفر والضلال بالنار.

٢- الرزق الطيب هو ما كان حلالاً لا ما كان حراماً.
٣- إذا أراد الله هلاك أمة اختلفت بسبب العلم الذي هو في الأصل سبب الوحدة والوئام.
٤- حرمة الاختلاف في الدين إذ كان يؤدي إلى[1] الانقسام والتعادي والتحارب
٥- يوم القيامة هو يوم الفصل الذي يقضي الله تعالى فيه بين المختلفين بحكمه العادل.

فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ
فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ
ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ
﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

شرح الكلمات :

شك : ما قابل التصديق فالشاك غير المصدق.

مما أنزلنا إليك : أي في أن بني إسرائيل لم يختلفوا إلا من[2] بعد ما جاءهم العلم.

الكتاب : أي التوراة والإنجيل.

فلا تكونن من الممترين: أي لا تكونن من الشاكين.

حقت عليهم : أي وجبت لهم النار بحكم الله بذلك في اللوح المحفوظ.

حتى يروا العذاب : أي يستمرون على تكذيبهم حتى يروا العذاب فيؤمنوا حيث لا ينفع الإيمان.[3]

---

(١) مثال الاختلاف الذي لا يؤدي إلى الانقسام والتعادي والتحارب. : الخلاف الفقهي بين الأئمة الأربعة، ومثال الخلاف المفضي إلى التعادي والتحارب الخلاف بين أهل السنة والفرق الضالة كالخوارج والروافض وأمثالهما

(٢) هذا وجه من جملة أوجه فسّرت بها الآية.

(٣) لا خلاف في أن الإيمان كالتوبة لا يقبلان عند معاينة الموت ففي سورة النساء قال تعالى: ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا جاء أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار﴾. وقال ﷺ إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر.

معنى الآيات :

يقرر تعالى نبوة رسوله ﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل[1] الذين يقرأون الكتاب من قبلك﴾ أحبار اليهود ورهبان النصارى فإنهم يعرفون نعوتك وصفاتك في التوراة والإنجيل وإنك النبي الخاتم والمنقذ وأن من آمن بك نجا ومن كفر هلك وهذا من باب الفرض وليكون تهييجاً للغير ليؤمن وإلا فهو ﷺ قد قال: (لا أشك ولا أسأل) وقوله ﴿لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾، يقسم تعالى لرسوله بأنه قد جاءه الحق من ربه وهو الحديث الثابت بالوحي الحق وينهاه أن يكون من الممترين أي الشاكين في صحة الإسلام، وأنه الدين الحق الذي يأبى الله إلا أن يظهره على الدين كله ولو كره المشركون. وقوله ﴿ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين﴾ أي وينهاه أيضاً أن يكون من الذين كذبوا بوحي الله وشرعه ورسوله المعبر عنها بالآيات لأنها حاملة لها داعية إليها، فتكون من الخاسرين يوم القيامة. وهذا كله من باب «إياك أعني واسمعي يا جاره» وإلا فمن غير الجائز أن يشك الرسول أو يكذب بما أنزل عليه من الآيات الحاملة من الشرائع والأحكام. وقوله تعالى: ﴿إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية﴾ هو كما أخبر عز وجل فالذين قضى[2] الله بعذابهم يوم القيامة فكتب ذلك في كتاب المقادير عنده هؤلاء لا يؤمنون أبداً مهما بذل في سبيل إيمانهم من جهد في تبيين الحق وإقامة الأدلة وإظهار الحجج عليهم وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ من جراء ما يألم له ويحزن من إعراض كفار قريش وعدم استجابتهم وقوله ﴿ولو جاءتهم كل آية﴾ تأكيد للحكم السابق وهو أن الذي حكم الله بدخولهم النار لا يؤمنون ولا يموتون إلا كافرين لينجز الله ما وعد ويمضي ما قضى وحكم. وقوله: ﴿حتى يروا العذاب الأليم﴾ أي يستمرون على كفرهم بك وبما جئت به حتى يشاهدوا العذاب الأليم وحينئذ يؤمنون كما آمن فرعون عندما أدركه الغرق ولكن لم ينفعه إيمانه فكذلك هؤلاء المشركون من

---

(١) لا حاجة إلى طلب حلول بعيدة لحلّ ما في ظاهر الآية من إشكال، إذ لهذه الآية نظير وهو قوله تعالى: ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخسارين﴾ معنى الآية: أنّ الله تعالى يوجه الخطاب إلى رسوله، وأحبّ الخلق إليه ليكون غيره من باب أولى ألف مرة ومرّة وإلاّ فالرسول ﷺ لا يشك ولا يسأل وكيف يشك ويسأل وهو يتلقى الوحي من ربّه؟ وقد قال وقت ما نزلت الآية: (لا أشك ولا أسأل)، وتوجيهنا للآية في التفسير في غاية الوضوح، والحمد لله.

(٢) إن قيل: كيف يعذبهم لمجرد أن كتب ذلك عليهم؟ قلنا في الجواب إنه ما كتب شقوة نفس أو سعادة أخرى حتى علم ما ستفعله النفس باختيارها من كفر أو إيمان أو خير أو شر.

قومك الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم وعندئذ لا ينفعهم إيمانهم .

هداية الآيات

من هداية الآيات :

١ـ تقرير نبوة الرسول ﷺ .

٢ـ سؤال من لا يعلم من يعلم .

٣ـ التكذيب بآيات الله كفر وصاحبه من الخاسرين .

٤ـ الشك والافتراء في أصول الدين وفروعه كفر .

٥ـ تقرير عقيدة القضاء والقدر، وإن الشقي من شقي في كتاب المقادير[1] والسعيد من سعد فيه .

٦ـ عدم قبول توبة من عاين العذاب في الدنيا بأن رأى ملك الموت وفي الآخرة بعد أن يبعث ويشاهد أهوال القيامة .

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ
ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ
إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ
جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا
كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ
عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾

شرح الكلمات :

فلولا : أداة تحضيض هنا بمعنى هلاّ وفيها معنى التوبيخ والنفي .

(١) طالع النهر، فقد أوردنا سؤالاً عن هذه المسألة وأجبنا عنه تحت رقم (٣) بما يكفي ويغني بإذن الله تعالى .

قريـة آمنـت	: أي أهل قرية آمنـوا .
يونــــس	: هو يونس بن مَتَّى نبي الله ورسوله[١].
إلى حيــن	: أي إلى وقت انقضاء آجالهم .
أفأنت تكره الناس	: أي إنك لا تستـطيع ذلك .
إلا بإذن الله	: أي بإرادته وقضائه .
الـرجـــس	: أي العـــذاب

معنى الآيـات :

بعد أن ذكر تعالى في الآيات السابقة أن الخسران لازم لمن كذب بآيات الله، وأن الذين وجب لهم العذاب لإحاطة ذنوبهم بهم لا يؤمنون لفقدهم الاستعداد للإيمان ذكر هنا ما يحض به أهل مكة على الإيمان وعدم الإصرار على الكفر والتكذيب فقال: ﴿فلولا[٢] كانت قرية آمنت فنفعهـا إيمانها﴾ أي فهلا أهل قرية آمنوا فانتفعوا بإيمانهم فنجوا من العذاب اللازم لمن لم يؤمن أي لِمَ لا يؤمنون وما المانع من إيمانهم وهذا توبيخ لهم. وقوله ﴿إلا قوم[٣] يونس[٤] لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا﴾ فلم نهلكهم بعذاب استئصال وإبادة شاملة لأنهم لما رأوا أمارات العذاب بادروا إلى التوبة قبل نزوله بهم فكشف الله تعالى عنهم العذاب، ومتعهم بالحياة إلى حين انقضاء آجالهم فما لأهل أم القرى لا يتوبون كما تاب أهل نِيْنوى من أرض الموصل وهم قوم يونسَ عليه السلام.

وقوله تعالى: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً﴾ يحمل دلالتين الأولى أن عرض الله تعالى الإيمان على أهل مكة وحضهم عليه وتوبيخهم على تركه لا ينبغي

---

(١) أحد أنبياء بني اسرائيل.

(٢) لولا. حرف الأصل فيها أنها للتحضيض، وهو طلب الفعل بحثّ، ولكن إذا دخلت على ماض لم تصبح للتحضيض قطعاً بل للتغليط والتنديم والتوبيخ، وهي هنا لتغليط أهل مكة وتوبيخهم وتنديمهم على إصرارهم علَى الكفر وعدم توبتهم كما تاب قوم يونس حتى ينجوا من العذاب كما نجوا.

(٣) كان هؤلاء القوم خليطاً من الأشوريين واليهود الذين كانوا في أسر ملوك بابل بعد بختنصر، وكانت بعثة يونس عليه السلام إليهم في بداية القرن الثامن قبل المسيح عليه السلام.

(٤) إن قوم يونس كانوا بقرية تسمّى نينوي من أرض الموصل وكانوا يعبدون الأصنام، أقام في قومه يدعوهم إلى التوحيد وترك الشرك تسع سنين فيئس من إيمانهم فتوعدهم بالعذاب وخرج من بين أظهرهم وتركهم فلمّا رأوا ذلك خافوا نزول العذاب بهم فجأروا الى الله تعالى بالاستغفار والدعاء والضراعة ياحي حين لا حي يا حي محيي الموتى يا حي لا إله إلا أنت ارفع عنا العذاب وقد ظهرت أماراته، فكشف الله عنهم العذاب كما قال تعالى: ﴿إلا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتّعناهم إلى حين﴾.

أن يفهم منه أن الله تعالى عاجز عن جعلهم يؤمنون بل لو شاء إيمانهم لآمنوا كما لو شاء إيمان أهل الأرض جميعاً لآمنوا والثانية تسلية الرسول والتخفيف عنه من ألم وحزن عدم إيمان قومه وهو يدعوهم بجد وحرص ليل نهار فأعلمه ربه أنه لو شاء إيمان كل من في الأرض لآمنوا، ولكنه التكليف المترتب عليه الجزاء فيعرض الإيمان على الناس عرضاً لا إجبار معه فمن آمن نجا، ومن لم يؤمن هلك ويدل على هذا قوله له ﴿أفأنت[1] تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ أي إن هذا ليس لك، ولا كلفت به، وقوله تعالى: ﴿وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله﴾ تقرير وتأكيد لما تضمنه الكلام السابق من أن الإيمان لا يتم لأحد إلا بإرادة الله وقضائه، وقوله تعالى: ﴿ويجعل الرجس[2] على الذين لا يعقلون﴾ أي إلا أنه تعالى يدعو الناس إلى الإيمان مبيناً لهم ثمراته الطيبة ويحذرهم من التكذيب مبيناً لهم آثاره السيئة فمن آمن نجاه وأسعده ومن لم يؤمن جعل الرجس الذي هو العذاب عليه محيطاً به جزاء له لأنه لا يعقل إذ لو عقل لما كذب ربه وكفر به وعصاه وتمرد عليه وهو خالقه ومالك أمره.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- من مظاهر رحمة الله تعالى بعباده دعوته إياهم إلى الإيمان به وحضهم عليه.

٢- قبول التوبة قبل معاينة العذاب، ورؤية العلامات لا تمنع من التوبة.

٣- إرادة الله الكونية التي يكون بها الأشياء لا تتخلف أبداً، وإرادته الشرعية التكليفية جائزة التخلف.

٤- لا إيمان إلا بإذن الله وقضائه فلذا لا ينبغي للداعي أن يحزن على عدم إيمان الناس إذا دعاهم ولم يؤمنوا لأن الله تعالى كتب عذابهم أزلاً وقضى به.

---

(١) الاستفهام: انكاري ينكر تعالى على رسوله شدّة حرصه على إيمان قومه، حتى لكأنه يريد إكراههم على الإيمان به وبما جاء به من التوحيد.

(٢) الرجس: بضم الراء وكسرها: العذاب.

قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾
فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ ۚ
قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي
رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ
﴿١٠٣﴾

شرح الكلمات :

ماذا في السموات والأرض: أي من عجائب المخلوقات، وباهر الآيات.

وما تغني الآيات والنذر : أي ما تغني أيَّ إغناء إذا كان القوم لا يؤمنون.

فهل ينتظرون : أي ما ينتظرون.

خلوا من قبلهم : أي مضوا من قبلهم من الأمم السابقة.

قل فانتظروا : أي العذاب.

ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا : أي من العذاب المنتظر.

كذلك : أي كذلك الإنجاء ننج المؤمنين.

معنى الآيات :

ما زال السياق في دعوة قريش إلى الإيمان والتوحيد والطاعة لله ولرسوله ﷺ فقد أمر تعالى رسوله أن يقول لهم: ﴿قل انظروا[1] ماذا في السموات والأرض﴾ من سائر المخلوقات وما فيها من عجائب الصنعة، ومظاهر الحكمة والرحمة والقدرة فإنها تدعو إلى الإيمان بالله رباً وإلهاً لا إله غيره ولا رب سواه، وتفند دعوى ألوهية الأصنام والأحجار. ثم قال تعالى: ﴿وما تغني الآيات والنذر﴾ أي الرسل في هداية قوم قضى الله تعالى أزلاً

---

(١) الفاء للتفريع فالكلام متفرّع على جملة ما تغني الآيات والنذر. والاستفهام إنكاري تهكمي، وفيه معنى النفي أيضاً، والنكات لا تتزاحم.

أنهم لا يؤمنون حتى ينتهوا إلى ما قدر لهم وما حكم به عليهم من عذاب الدنيا والآخرة ولكن لما كان علم ذلك إلى الله تعالى فعلى النذر أن تدعو وتبلغ جهدها والأمر لله من قبل ومن بعد. وقوله: ﴿فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين[1] خلوا من قبلهم﴾ أي إنهم ما ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلفوا من قبلهم من قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم دعتهم رسلهم وبلغتهم دعوة ربهم إليهم إلى الإيمان والتوحيد والطاعة فأعرضوا فأخذهم الله إنه قوي شديد العقاب.

ثم أمر الله تعالى رسوله أن يقول لهم ﴿فانتظروا[2]﴾ أي ما كتب عليكم من العذاب إن لم تتوبوا إليه وتسلموا ﴿إني معكم من المنتظرين﴾ فإن كان العذاب فإن سنة الله فيه أن يهلك الظالمين المشركين المكذبين وينجي رسله والمؤمنين وهو معنى قوله تعالى[3] في الآية الأخيرة (١٠٣) ﴿ثم ننجي[4] رسلنا والذين آمنوا، كذلك﴾ أي الإنجاء ﴿حقاً علينا[5] ننج المؤمنين﴾.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ لا تنفع الموعظة مهما بولغ فيها عبداً كُتب أزلاً أنه من أهل النار.

٢ـ ما ينتظر الظلمة في كل زمان ومكان إلا ما حل بمن ظلم من قبلهم من الخزي والعذاب.

٣ـ وعد الله تعالى ثابت لأوليائه بإنجائهم من الهلاك عند إهلاكه الظلمة المشركين.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ

---

(١) المراد من الأيام: العذاب الذي يقع فيها، ويقال فيها الوقائع وهو نحو قولهم: أيام العرب، فلان عالم بأيام العرب أي: ما جرى فيها من أحداث ومنه قوله تعالى: ﴿وذكرهم بأيام الله﴾ أي: بالعذاب الذي وقع فيها

(٢) الجملة مستأنفة استئنافاً بيانيا لأنها واقعة موقع جواب سؤال تقديره: نحن أولاء منتظرون وأنت ماذا تفعل؟

(٣) ﴿حقا علينا﴾ جملة معترضة لأن المصدر يدل على الفعل، والتقدير أي: حق ذلك علينا حقا أي: أحققناه حقا علينا،

(٤) ﴿ننجي﴾ قرىء بالتخفيف، والتشديد، والمعنى واحد، وفي المصحف ننج بدون ياء لالتقاء الساكنين.

(٥) إن انتظار العذاب منذر بنزوله قريبا بديارهم والرسول معهم فمن هنا عطف جملة ﴿ثم ننجي رسلنا﴾ فأعلمهم بنجاة الرسل فكانت بشرى للرسول والمؤمنين.

أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾
وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن
يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ
وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾

شرح الكلمات :

من ديني : أي الإسلام في أنه حق.

يتوفاكم : أي يقبض أرواحكم فيميتكم.

وأن أقم وجهك للدين حنيفاً : أي أمرني ربي أن أقم وجهي للدين الإسلامي حنيفاً أي مائلاً عن كل الأديان إليه دون غيره.

مالا ينفعك ولا يضرك : أي آلهة لا تنفع ولا تضر وهي أصنام المشركين وأوثانهم.

إنك إذاً من الظالمين : أي إنك إذا دعوتها من المشركين الظالمين لأنفسهم.

فلا كاشف له إلا هو : أي لا مزيل للضُر ومبعده عمن أصابه إلا هو عز وجل.

يصيب به : أي بالفضل والرحمة.

وهو الغفور الرحيم : أي لذنوب عباده التائبين الرحيم بعباده المؤمنين.

معنى الآيات :

بعد أن بين تعالى طريق الهدى وطريق الضلال وأنذر وحذر وواعد وأوعد في الآيات السابقة بما لا مزيد عليه أمر رسوله هنا أن يواجه المشركين من أهل مكة وغيرهم بالتقرير التالي فقال: ﴿قل يا أيها الناس﴾ أي مشركي مكة والعرب من حولهم ﴿إن كنتم في شك﴾ وريب[1] في صحة ديني الإسلام الذي أنا عليه وأدعو إليه، ﴿فلا أعبد الذين تعبدون من

(١) أي: إن كنتم في شك من صحة ديني فأنا غير شاكٍ في صحته وبطلان دينكم فلذا لا أعبد الذين تعبدون. من دون الله.

دون الله﴾ فمجرد شككم في صحة ديني لا يجعلني أعبد أوثاناً وأصناماً لا تنفع ولا تضر، ﴿ولكن أعبـد الله﴾ الذي ينفع ويضر، يحيي ويميت، الله الذي يتوفاكم أي يميتكم بقبض أرواحكم فهـو الـذي يجب أن يعبـد ويخـاف ويرهب ﴿وأمـرت أن أكـون من المؤمنين﴾ أي أمرني ربي أن أومن به فأكون من المؤمنين فآمنت وأنا من المؤمنين. وقوله تعالى: ﴿وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين﴾ أي وأوحىٰ إليَّ ربي آمراً إياي بأن أقيم وجهي لدينه[1] الحق فلا ألتفت إلى غيره من الأديان الباطلة، ونهاني مشدداً علي أن أكون من المشركين الذين يعبدون معه آلهة أخرى بعد هذا الإعلان العظيم والمفاصلة الكاملة والتعريض الواضح بما عليه أهل مكة من الضلال والخطأ الفاحش، واجه الله تعالى رسوله بالخطاب وهو من باب «إياك أعني واسمعي يا جاره» فنهاه بصريح القول أن يدعو من دون الله ما لا ينفعه ولا يضره وهو كل المعبودات ما سوى الله عز وجل فقال: ﴿ولا تدع من دون مالا ينفعك﴾ أي لا يجلب لك نفعاً ولا يدفع عنك ضراً، ولا يضرك بمنع خير عنك، ولا بإنزال شر بك فإن فعلت بأن دعوت غير الله فإنك إذاً من الظالمين، ولما كان دعاء النبي غير الله ممتنعاً فالكلام إذاً تعريض بالمشركين وتحذير للمؤمنين، وقوله تعالى: في خطاب رسوله: ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له﴾[2] عنك ﴿إلا هو﴾ عز وجل، ﴿وإن يردك بخير﴾ من الخيـور عافية وصحة رخاء ونصر ﴿فلا راد لفضله﴾ أي ليس هنـاك من يرده عنـك بحـال من الأحوال، وقوله: ﴿يصيب﴾[3] أي بالفضل والخير والنعمة ﴿من يشاء من عباده﴾ إذ هو الفاعل المختار، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وقوله: ﴿وهو الغفور الرحيم﴾ بيان لصفات الجلال والكمال فيه فإنه تعالى يغفر ذنوب التائبين إليه مهما بلغت في العظم، ويرحم عباده المؤمنين مهما كثروا في العدد، وبهذا استوجب العبادة بالمحبة والتعظيم والطاعة والتسليم.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ على المؤمن أن لا يترك الحق مهما شك وشكك فيه الناس.

(١) الأمر بإقامة الوجه لله كناية عن توجه النفس والإقبال بها على الله تعالى فلا تلتفت راغبة ولاراهبة إلى غير الله تعالى، وهذا كإسلام الوجه لله تعالى في آية: ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن﴾ ولازمه ترك كل دين إلى دين الله عزّ وجل.

(٢) تنكير ضرّ، كتنكير خير يُراد به النوعية الصالحة للقلة والكثرة.

(٣) يقال: أصابه بكذا: إذا أورده عليه ومسّه به.

٢ـ تحريم الشرك ووجوب تركه وترك أهله .
٣ـ دعاء غير الله مهما كان المدعو شرك محرم فلا يحل أبداً ، وإن سموه توسلاً .
٤ـ لا يؤمن عبد حتى يوقن أن ما أراده الله له من خير أو شر لا يستطيع أحد دفعه ولا تحويله بحال من الأحوال، وهو معنى حديث: [1] (ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك) .

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

شرح الكلمات :

يا أيها الناس : أي يا أهل مكـة .
قد جاء الحـق : أي الرسول يتلو القرآن ويبين الدين الحق .
مـن اهتـدى : أي آمن بالله ورسوله وعبدالله تعالى موحداً له .
ومن ضـل : أي أبى إلا الإصرار على الشرك والتكذيب والعصيان .
فعليهـا : أي وبال الضلال على نفس الضال كما أن ثواب الهداية لنفس المهتدي .
وما أنا عليكم بوكيـل : أي بمجبر لكم على الهداية وإنما أنا مبلغ ونذير .
واصـبر حتى يحكـم الله : أي في المشركين بأمره .
خير الحاكميـن : أي رحمة وعدلاً وإنفاذاً لما يحكم به لعظيم قدرته .

معنى الآيتين :

هذا الإعلان الأخير في هذه السورة يأمر الله تعالى رسوله أن ينادي المشركين بقوله :

---

(١) هذا الكلام مستأنف يحمل إعلاناً عظيما لأهل مكة أوّلاً ، وللناس كافّة ثانياً مفاده : مجيئهم الرسول محمد ﷺ بالحق من ربهم وهو الدين الإسلامي فمن دخل فيه اهتدى إلى طريق سعادته ومن أعرض عنه ضل طريق نجاته وسعادته .

﴿يا أيها الناس﴾ وهو نداء عام يشمل البشرية كلها وإن أريد به ابتداء أهل مكة ﴿قد جاءكم الحق من ربكم﴾ وهو القرآن يتلوه رسول الله وفيه بيان الدين الحق الذي لا كمال للإنسان له إلا بالإيمان به والأخذ الصادق بما تضمنه من هدى. وبعد فمن اهتدى بالإيمان والاتباع فإنما ثواب هدايته لنفسه إذ هي التي تزكو وتَطْهُر وتتأهل لسعادة الدارين، ومن ضل بالإصرار على الشرك والكفر والتكذيب فإنما ضلاله أي جزاء ضلاله عائد على نفسه إذ هي التي تَتَدَسَّى وتخبُث وتتأهل لمقت الله وغضبه وأليم عقابه. وما على الرسول المبلغ من ذلك شيء، إذ لم يوكل إليه ربه هداية الناس بل أمره أن يصرح لهم بأنه ليس عليهم بوكيل ﴿وما أنا عليكم بوكيل﴾[1] وقوله تعالى: ﴿واتبع ما يوحى إليك﴾[2] أمر للنبي ﷺ بالتزام الحق باتباع ما يوحى إليه من الأوامر والنواهي وعدم التفريط في شيء من ذلك، ولازم هذا وهو عدم اتباع ما لا يوحى إليه به ربه وقوله: ﴿واصبر حتى يحكم الله[3] وهو خير الحاكمين﴾ أمر للنبي ﷺ بالصبر على اتباع الوحي والثبات على الدعوة وتحمل الأذى من المشركين إلى غاية أن يحكم الله فيهم وقد حكم فأمره بقتالهم فقتلهم في بدر وواصل قتالهم حتى دانوا لله بالإسلام ولله الحمد والمنَّة، وقوله ﴿وهو خير الحاكمين﴾[4] ثناء على الله تعالى بأنه خير من يحكم وأعدل من يقضي لكمال علمه وحكمته، وعظيم قدرته، وواسع رحمته.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١ـ تقرير أن القرآن والرسول حق والإسلام حق.

---

(١) هذه الجمله داخلة ضمن الإعلان، وهي أن يعلم أهل مكة والناس من حولهم أن الرسول المبلّغ الإسلام لهم غير موكل بهدايتهم وأنّ أمر ذلك متروك لهم، فمن شاء اهتدى، ومن شاء ضلّ، وما عليه إلا البلاغ. وقد بلّغ.

(٢) هذا ارشاد للرسول ﷺ بأن يلزم المنهج الذي وضعه له بطريق الوحي ولا يخرج عنه بحال فإنه سبيل نجاته ونجاة المؤمنين معه.

(٣) هذا إرشـاد آخـر له ﷺ بالصبـر على إبلاغ أهل مكة ومن حولهم دعوة الله حتى يحكم الله بينه وبينهم بنصر رسوله والمؤمنين، وخذلان الكفر والكافرين.

(٤) خير هنا بمعنى أخير اسم تفضيل، وإنما عدل عن أخير إلى خير لكثرة الاستعمال كاسم شرّ أيضاً، وقد يأتي لفظ شر وخير لغير تفضيل.

٢- تقرير مبدأ أن المرء يشقى ويسعد بكسبه لا بكسب غيره.[١]

٣- وجوب اتباع الوحي الإلهي الذي تضمنه القرآن والسنة الصحيحة.

٤- فضيلة الصبر وانتظار الفرج من الله تعالى.

سُورَةُ هُودٍ
مكية[٢]
وآياتها مائة وثلاث وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾
أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟
رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ
كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ
يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ
يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾

شرح الكلمات

آلــر : هذا أحد الحروف المقطعة: يكتب آلر ويقرأ ألف، لام، را.

---

(١) شواهد هذه الحقيقة في القرآن كثيرة منها: ﴿من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها﴾ ومنها: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ ومنها: ﴿لها ما كسبت وعليها مااكتسبت﴾.

(٢) واستثنى منها بعضهم آية: ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار..﴾ الآية فإنها مدنية وروي أنّ النبي ﷺ قال: (شيبتني هود وأخواتها) ويذكر القرطبي فيقول: قال أبو عبدالله: فالفزع يورث الشيب، وذلك أنّ الفزع يذهل النفس فينشف رطوبة الجسد، وتحت كل شعرة منبع ومنه يعرق فإذا نشف الفزع رطوبته يبست المنابع فيبس الشعر فابيضّ، كما ترى الزرع الأخضر بسقائه فإذا ذهب سقاؤه يبس فابيضّ، وإنما يبيضّ شعر الشيخ لذهاب رطوبته ويبس جلده.

احكمـــت : أي نظمت نظماً متقناً ورصفت ترصيفاً لا خلل فيه.
فصـــلت : أي ببيان الأحكام، والقصص والمواعظ، وأنواع الهدايات.
من لـــدن : أي من عند حكيم خبير وهو الله جل جلاله.
متاعاً حسناً : أي بطيب العيش وسعة الرزق.
إلى أجل مسمى : أي موت الإنسان بأجله الذي كتب له.
ويؤت كل ذي فضل : أي ويعط كل ذي عمل صالح فاضل جزاءه الفاضل.
عذاب يوم كبير : هو عذاب يوم القيامة.
يثنون صدورهم : أي يطأطئون رؤوسهم فوق صدورهم ليستتروا عن الله في زعمهم.
يستغشون ثيابهم : يغطون رؤوسهم ووجوههم حتى لا يراهم الله في نظرهم الباطل.

معنى الآيـات :

قوله تعالى ﴿آلر﴾ هذا الحرف مما هو متشابه ويحسن تفويض معناه إلى الله فيقال: الله أعلم بمراده بذلك. وإن أفاد فائدتين الأولى: أن القرآن الكريم الذي تحداهم الله بالإتيان بمثله أو بسورة من مثله قد تألف من مثل هذه الحروف: آلم، آلر، طه، طس حم، ق، ن، فألفوا مثله فإن عجزتم فاعلموا أنه كتاب الله ووحيه وأن محمداً عبده ورسوله فآمنوا به، والثانية أنهم لما كانوا لا يريدون سماع القرآن بل أمروا باللغو عند قراءته[1] ومنعـوا الاستعلان به جاءت هذه الحروف على خلاف ما ألفوه في لغتهم واعتادوه في لهجاتهم العربية فاضطرتهم إلى سماعه فإذا سمعوا تأثروا به وآمنوا ولنعم الفائدة أفادتها هذه الحروف المقطعة.

وقـولـه تعـالى ﴿كتـاب[2] أحكمت آياته﴾ أي المؤلف من هذه الحروف كتاب عظيم أحكمت آياته أي رصفت ترصيفاً ونظمت تنظيماً متقناً لا خلل فيها ولا في تركيبها ولا معانيها، وقوله: ﴿ثم فصلت﴾ أي بين ما تحمله من أحكام وشرائع، ومواعظ وعقائد

---

(١) شاهده في قوله تعالى من سورة (فصلت): ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾.
(٢) التنكير في ﴿كتاب﴾ للتفخيم والتعظيم، والإحكام أصله: اتقان الصنعة مشتق من الحكمة التي هي وضع الشيء في موضعه، فإحكام الآيات: سلامتها من الاخلال: التي تعرض لنوعها كمخالفة الواقع، والخلل في اللفظ أو في المعنى.

وآداب وأخلاق بما لا نظير له في أي كتاب سبق، وقوله: ﴿من لدن حكيم خبير﴾ أي تولى تفصيلها حكيم خبير، حكيم في تدبيره وتصرفه، حكيم في شرعه وتربيته وحكمه وقضائه، خبير بأحوال عباده وشؤون خلقه، فلا يكون كتابه ولا أحكامه ولا تفصيله إلا المثل الأعلى فى كل ذلك.

وقوله: ﴿ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير﴾ أي أنزل الكتاب وأحكم آيَهُ وفصَّل أحكامه وأنواع هدايته بأن[1] لا تعبدوا إلا الله إذ لا معبود حق إلا هو ولا عبادة تنفع إلا عبادته. وقوله ﴿إنني لكم منه نذير وبشير﴾ هذا قول رسوله المبلغ عنه يقول أيها الناس إنى لكم منه أي من ربكم الحكيم العليم نذير بين يدي عذاب شديد إن لم تتوبوا فتؤمنوا وتوحدوا. وبشير أي أبشر من آمن ووحد وعمل صالحاً بالجنة في الآخرة ﴿وأن استغفروا[2] ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى﴾ أي وبأن تستغفروا ربكم باعترافكم بخطأكم بعبادة غيره، ثم تتوبوا إليه أي ترجعوا إليه بالإيمان به وبرسوله ووعده ووعيده وطاعته في أمره ونهيه، ولكم جزاء على ذلك وهو أن يمتعكم في هذه الحياة متاعاً حسناً بالنعم الوفيرة والخيرات الكثيرة إلى نهاية آجالكم المسماة لكل واحد منكم. وقوله ﴿ويؤت كل ذي فضل فضله﴾[3] أي ويعط سبحانه وتعالى كل صاحب فضل في الدنيا من بر وصدقة وإحسان فضله تعالى يوم القيامة في دار الكرامة الجنة دار الأبرار. وقوله: ﴿وإن تولوا﴾ أي تعرضوا عن هذه الدعوة فتبقوا على شرككم وكفركم ﴿فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾ وهو عذاب يوم القيامة. وقوله تعالى: ﴿إلى الله مرجعكم﴾ يخبرهم تعالى بعد أن أنذرهم عذاب يوم القيامة بأن مرجعهم إليه تعالى لا محالة فسوف يحييهم بعد موتهم ويجمعهم عنده ويجزيهم بعدله ورحمته ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ ومن ذلك احياؤهم بعد موتهم ومجازاتهم السيئة بمثلها والحسنة بعشر أمثالها وهذا هو العدل والرحمة اللذان لا نظير لهما.

---

(١) فالباء سببية، وأن: تفسيرية، إذ لو سأل سائل فقال: لم أحكمت الآيات ثم فُصلت؟ لكان الجواب: بأن لا يعبد إلا الله وأن يُستغفر وان يتاب إليه تعالى.

(٢) إن قيل: لم قدّم الاستغفار عن التوبة؟ فالجواب: بأن العبد لا يستغفر إلاّ إذا علم أنه أذنب، ولا يتوب العبد حتى يعلم أنه مذنب وعندها يتوب فهذا سرّ تقديم الاستغفار عن التوبة.

(٣) هذا كقوله تعالى: ﴿ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله﴾ فالفضل الأوّل من العبد، وهو العمل الصالح، والفضل الثاني من الرّب وهو دخول الجنة.

وقوله تعالى: ﴿ألا إنهم يثنون[1] صدورهم ليستخفوا منه﴾ هذا النوع من السلوك الشائن الغبي كان بعضهم يثني صدره أي يطأطىء رأسه ويميله على صدره حتى لا يراه الرسول ﷺ، وبعضهم يفعل ذلك ظناً منه أنه يخفي نفسه عن الله تعالى وهذا نهاية الجهل، وبعضهم يفعل ذلك بغضاً للرسول ﷺ حتى لا يراه فرد تعالى هذا بقوله: ﴿ألا حين يستغشون ثيابهم﴾ أي يتغطون بها ﴿يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور﴾ فلا معنى لاستغشاء الثياب استتاراً بها عن الله تعالى فإن الله يعلم سرهم وجهرهم ويعلم ما تخفي صدورهم وإن كانوا يفعلون ذلك بغضاً[2] للنبي ﷺ، فبئس ما صنعوا وسيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات:

١- مظهر من مظاهر إعجاز القرآن وهو أنه مؤلف من الحروف المقطعة ولم تستطع العرب الإتيان بسورة مثله.

٢- بيان العلة في إنزال الكتاب وأحكام آيِهِ وتفصيلها وهي أن يعبد الله تعالى وحده وأن يستغفره المشركون ثم يتوبون إليه ليكملوا ويسعدوا في الدنيا والآخرة.

٣- وجوب التخلي عن الشرك أولا، ثم العبادة الخالصة ثانياً.

٤- المعروف لا يضيع عند الله تعالى إذا كان صاحبه من أهل التوحيد ﴿ويؤت[3] كل ذي فضل فضله﴾.

٥- بيان جهل المشركين الذين كانوا يستترون عن الله برؤوسهم وثيابهم.[4]

٦- مرجع الناس إلى ربهم شاءوا أم أبوا والجزاء عادل ولا يهلك على الله إلا هالك.

---

(١) روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: يخفون ما في صدورهم من الشحناء والعداوة ويظهرون خلافه، ونزلت في الأخنس بن شريق وكان رجلاً حلو الكلام حلو المنطق يلقى رسول الله ﷺ بما يحب وينطوي له بقلبه على ما يسوء، وقيل نزلت في بعض المنافقين كان أحدهم إذا مرّ به الرسول ﷺ ثنى صدره وظهره وطأطأ رأسه وغطّى وجهه كي لا يراه الرسول ﷺ فيدعوه إلى الإيمان.

(٢) لا مانع من توجيه الآية إلى هذا إذ مازال الناس إلى اليوم، إذا كرهوا الداعية إلى الله تعالى لا يحبون أن يروه أو يسمعوا صوته وقد يثنون صدورهم ويغطون وجوههم حتى لا يروه بغضاً له وكرهاً. والله عليم خبير.

(٣) الثني: الطيّ. طوى الثوب إذا ثناه، وهو مأخوذ من جعل الواحد اثنين.

(٤) أي: يطأطئون رؤوسهم على صدورهم ويتغطون بثيابهم إذ روي أن المشرك كان يدخل بيته ويرخي الستر عليه، ويستغشي ثوبه ويحنى ظهره ويقول: هل يعلم الله ما في قلبي؟ وذلك لجهلهم بعظمة الله تعالى وقدرته وعلمه.